# سارية الأمة القادمة

جابر الجابري •

حملتك في يوم الفداء لواءا ... أيدٍ تفيض مع الدماء ولاءا
راحت تخوض بك الزمانَ جلالةً ... فتثيرُ في جسد الحياة بقاءا
تلك التي روَيتَ أول بذرةٍ ... منها وكان ندى جبينِك ماءا
وسقيتها في ساعة الظمأ التي ... تركتْ أكف الهاطلات ظماءا
وَحْياً فكان على يديك رواؤها ... حتى غدت تَهَبُ الحياة رواءا
ألهمتها وحي الجهاد فأُتخمتْ ... يوم النزال عزيمةً ومضاءا
تخبو المنايا في مواكب عزها ... لتظلّ في صوت الضلال رثاءا
تُندي بصيحتك الزمانَ فينثني ... خَضِلاً يحرِّك راحتيه عطاءا

وعلى يديها من هُداك مشاعلٌ ... أضحت لأكتاف المتيهِ رداءا
عادت توشِّم بالدماء شموسَها ... ومن الضحايا تصنع الأفياءا
تعطي الدماء لأجل صوتك فديةً ... لتكون كأسُ الظالمين دماءا

* * * * * * * *

يا باعث النور البهيجَ بأمةٍ ... عاشت على وَهَجِ السّنا ظلماءا
من بعد ما دبّ الضلال وأصبحت ... قيم العدالة بينهم فحشاءا
وتطاولت كفّ القوي لترتوي ... بدم الضعيف مُدامةً صهباءا
وتناثرت تحت التراب مكارمٌ ... وَأْداً لتُدفنَ بالتراب حياءا
والبغي عاث فلم يَعد شبرٌ بها ... إلاّ وضج مفاسداً وبغاءا
وتجمعت ظلم الجهالة حولها ... تخفي السنا وتلملم الأجواءا
تلك الرؤوس تطاولت عن ربّها ... وغدت تُجلُّ حجارةً صمّاءا
عاشوا نياماً لا يرون بأعينٍ ... نسجت لها كفُّ الضلال غشاءا
جعلوا أصابعهم على آذانهم ... حتى تعود مداخلاً عمياءا
وصغوا إلى وحي النفوس يقودهم ... نحو الهوى ويشلّهم أعياءا
حتى إذا ألِفوا الظلام وأدمنت ... أبصارُهم وجهَ المتيه لقاءا
أشرقتَ في مهد النبوة منقذاً ... تجلو الظلام وتنثر الأضواءا
وطلعت تعصف بالضلالة ماحقاً ... فتهيج تحت يد الهدى صفراءا
وجلوت من تلك الرعاة قلوبَهم ... وبها حملت رسالة عصماءا
من هذه الأنقاض قمت بدعوة ... وبعثتَهم من موتهم أحياءا
وبنيت من تلك الرمال حضارةً ... لم تَدْنُها كفُّ الخيال بناءا
قرَّبتَ هذي الأرضَ من وجه السما ... حتى صنعتَ من التراب سماءا
حلمتْ بك الدنيا فكنتَ محمداً ... وغدْت تضمك رحمةً ورجاءا

* * * * * * * *

أكبرتُ يومك فرحةً وعطاءا ... وبكيتُ نهجك محنةً وعناءا

وحملتُ من ذكراك ألفَ نديّةٍ ... تَهَبُ الوجودَ مسرةً ورخاءا
يا صاحب الصوت الذي أَمِنَتْ به ... كل القلوب وأصبحت أصداءا
إني تصفحت الرسالة ناثراً ... فوق السنين حروفها الخرساءا
فوجدت جرحك لا يزال مخضَّباً ... يَهَبُّ الجراح كرامةً حمراءا
من يوم أن لا قيت قومك ناصحاً ... ونشرت فيهم مصحفاً ولواءا
رفعوا عليك سيوفهم وتضافرت ... كل الأكف تحدياً وعداءا
فدعوتَهم للسلم حين تنافخوا ... تهب القلوب محبةً وإخاءا
ودعوتهم للحب وهو رسالةٌ ... من فيضها يرد الكرام سخاءا
لو كان صوتك بالجبال لهُدِّمت ... قللٌ بها وتناثرت أشلاءا
أو كان وحيك بالبحار لهاجَها ... وحيُ السماء وأصبحت بيداءا
لكنهم شهروا السيوف ضلالةً ... ليقاتلوك مخافةً وجزاءا
فعرجتَ تقطعُ بالسيوف سيوفهم ... كي ما تطهر بالدماء دماءا
وقصدت أقصى الظالمين بعقره ... حتى قطعت له يدٌ حمقاءا
لتقول إن الحرب سلمٌ خبأت ... تحت السيوف ظلالها الخضراءا

* * * * * *

والـيوم إذ رفعتْ لواك فوارسٌ ... لتعيد شوطك عزةً وفداءا
عادت قريش وعاد في أفنائها ... صنم الحطيم يدنّس الأرجاءا
وله على كل العروش لصّدها ... حتى تزيل رسالة سمحاءا
لكنها تأبى الخضوع وإن سقت ... بدمائها وجه التراب نقاءا
ستظَلُّ تحمل للرسالة سيفها ... لتضمها كل الجراح دواءا
وتعيد صوتك هادياً ومحذراً ... كُلَّ الطغاة وإن غدت صمّاءا
إن تأفلِ الدنيا فسيفُك فجرُها ... ليطل فوق ربوعها وضاّءا
وتعود باسمك للعدالة صيحة ... يحنى لها رأس الزمان حياءا

* * * * * *

# مُحتَوياتُ العَدَد


**كلمة العدد**

عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة

المشرف العام ..... ٨

**قرآنيات**

القرآن.. نص خالد متعدد القراءة

أ. د. زهير غازي زاهد ..... ١٠

مصطلح علوم القرآن

حسين جودي كاظم الجبوري ..... ١٤

**آمن الرسول**

حركة السفياني.. الحد الفاصل والعلامة الحتمية

علي الفحام ..... ٢٠

**تحقيقات**

مرقد زيد بن صوحان العبدي

حيدر الجد ..... ٢٨

شيعة رواندا.. بين ركام الفقر وظلمات الجهل

هاشم سعدون ..... ٣٤

**إضاءات السيرة**

المصادر المبكرة لدراسة بنود وثيقة المدينة

د. محمد جواد فخر الدين ..... ٤٢

جوهر التسامح.. ديني أم علماني؟!

فؤاد جابر كاظم ..... ٥٠

**واحة الأدب**

قصة: خطوة في درب

بنت العراق ..... ٦٠

ص ٤٢

ص ٣٤

ص ٨٤

ص ٢٠

ص ١٤

ص ٢٨

ص ١٠٤

ص ٦٢


**ملف خاص**

**وفد أكاديمي ألماني في ضيافة مؤسسة الحكمة**

عمـار الجمالـي

فـادي الحسـين..... ٦٢

**للفضيلة نجومها**

**آية الله الشيخ عبد الرضا الطفيلي**

الشيخ عقيل علي الزبيدي ..... ٧٤

**الشيخ علي اليزدي الحائري**

د. سلمان هادي آل طعمة ..... ٧٨

**طروحات عامة**

**الصحف والمجلات الصادرة في البصرة**

الشـيخ حميد البغدادي ..... ٨٤

**فن كتابة خط الطغراء**

كريم نصيف الجميـلي ..... ٩٤

**الوعي أساس العمل**

فـلاح العليـاوي ..... ٩٨

**قراءات**

**النجف في ثلاث مشاهدات**

د. سـعد حـداد ..... ١٠٤

أجوبة مسابقة العدد (٤٣) وأسماء الفائزين..... ١١٢

مسـابقة العـدد (٤٥)..... ١١٣

# عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تتجدد بين الحين والآخر مسألة ظلت تراود بعضَ المثقفين، كحلم من أحلامهم، تتمثل بفكرة (عولمة الثقافة)، التي تتيح لثقافات متعددة الانطلاقَ في فضاء واسع لتأخذَ حيزها من الوجود، ما يمهِّد لاستخلاص ثقافةٍ راقية تنتُج مجتمعًا متكاملًا يتحلَّى بمستوًى عالٍ من الوعي الفكري، الذي يفرضُ بدوره واقعًا تربويًا مثاليًا تنهض به الأمة بعد ذلك، من خلال خوضها لتجاربَ عمليةٍ عدة، وممارستها لثقافات أخرى، أو الاطلاع عليها من كثب.

وتتكرر في نوادٍ عديدة، الدعوةُ إلى ضرورة الاطلاع على الثقافات الأخرى، ولو بالتنازل عما يسمى بالموروث الفكري- وهو مجموعة قيم ومبادئ- من أجل ارتقاء الأمة المستوى الحضاري الذي بلغه العالمُ اليومَ.

يتجلى خطأ هذه الفكرة بوضوح، عندما نلاحظ عدمَ التكافؤِ من الناحية التقنية، بين التفوق الإعلامي الغربي الذي يضخ ثقافته من طرف واحد باتجاه الشرق، وبين ذلك الشرق الذي يتلقى ولا يرسل ويتأثر ولا يؤثر، ناهيك عن تمترس الغرب أصلًا ضد الثقافة الإسلامية، وأحكامِهِ المسبقة عنها، ما يجعل من فكرة العولمة المزعومة، ضربًا من ضروب الاحتلال الفكري والثقافي البحت، ودعوةً سافرةً إليه، وليس أفقًا تعبّر فيه الثقافات العالمية عن ذاتها وخصوصياتها في ظل ثورة الاتصالات التي تسهّل انتقال أنماط الحضارات من منطقة إلى أخرى.

لقد شاءت الأقدار أن نطَّلِعَ - بعد انقطاعنا عن العالم بسبب الكابوس الذي خيَّم علينا طيلة عقود من الزمن- على جميع الثقافات العالمية، ومنها الغربية بطبيعة الحال، وهي الثقافة التي راودت المثقفين (الحالمين) عن نفسها طويلًا، حتى أصبح حلمُهم حقيقةً. وهاهو الفضاء الخارجي يعجّ بالتيارات الثقافية المتنوعة، التي باتت في متناول الجميع أكثر من أي وقت مضى.

بوسعنا تعريف الثقافة الغربية باختصار، بالدعوة إلى الحرية الفردية ضمن الحقوق القانونية والاجتماعية له، وإطلاقِ العنان

لتحقيق الرغبات الخاصة، و تلبية النزعات الشخصية للفرد، وإبداء نزواته وتطلعاته وأهدافه النفسية والعلمية، بما لا ينعكس سلبًا على الواقع العام والاستقرار السياسي.

هذه فلسفة الثقافة الغربية اليوم، وقبله، وهي وإن ساهمت في تفعيل الحركة العلمية والتجارية والتطور التكنولوجي الذي يطمح إليه الجنس البشري، بسبب رحابة فضاء العمل المحفز على الإبداع، وإطلاق روح المنافسة العلمية والتجارية، فإنها لا تقي المجتمع من هيمنة النوازع النفسية الفردية الكامنة، ووقوع الصراع الكبير داخله، باندفاع كل فرد إلى إشباع غرائزه النفسية وتحقيق رغباته الفردية بلا انضباط ولا مقاييس. وما نشهده اليومَ في الواقع العالمي من تدافع الرغبات والتهافت على إشباع الغرائز، وما يؤديان إليه من وقوع اعتداءات كبيرة ومنظمة في أحايين كثيرة، ما هو إلا صورة مفجعة لما يمكن أن يؤول إليه أمر المجتمعات الإنسانية، حيث تنعدم السيطرة على الكثير من التجاوزات الأخلاقية وغيرها، ويصبح العالم- وقد أصبح فعلًا- كأنه غابةً يتحكم فيها القويُّ بالضعيف، ويزول أي أثر للقيم والمبادئ، التي جُرِّدَت من مضامينها الأخلاقية، فلم تعد تتمحور في أحسن تنظيراتها التربوية إلا على توجيهات للتهرب من المساءلة القانونية، إضافة إلى شيوع التحلل والميوعة وانعدام الأخلاق والتجاوز على حقوق الآخرين.

وليت شعري أية ثقافة هذه تلك التي (نحلم) باندماجها في ثقافتنا الأصيلة بدعوى العولمة الثقافية؟ وأحرى بنا الخشيةُ منها.. وتضافرُ جهودِنا للحفاظ على القيم والمبادئ التي استقيناها من تعاليم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وتحصينُ الفردِ المؤمن من مغبَّةِ الانزلاق في التيارات الجارفة العارمة، وتسليحُه بالإيمان، وتذكيرُه بثقافته الحقيقية والقيم والمبادئ السامية.

حريّ أن يكونَ هذا همَّ كلِّ فردٍ حريصٍ على أبناء جلدته، يهمه ما يهمهم، قبل أن يكون من مسؤوليته. فلا بد من التشمير عن السواعد، والخوض في الميادين الثقافية والدينية للنهوض بواقع المجتمع المؤمن، والوقوف ضد التيارات المنحرفة، بالعمل الجاد على تعزيز القيم والأخلاق التي تعلمناها في تراثنا المجيد، وأن نستعين- مجرد استعانة- بما تنتجه العولمة اليوم من تقنيات حديثة فحسْب.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى صلاح النفس وإصلاح الواقع، ويكفينا شرورَ (الأحلامِ) وأضغاثَها! ■

**المشرف العام**

# القرآن.. نص خالد متعدد القراءة

**أ. د. زهير غازي زاهد** ●
كلية الآداب/ جامعة بغداد

**ينابيع** القراءة مصطلح يفهم في الدرس اللغوي الحديث بعدة وجوه: إنها بمعنى الجمع والضم كما في المعجم أو التتبع لجزئيات الشيء فقرأت الكتاب أي تتبعت كلماته نظراً ونطقاً، وهي لدى قراءة القرآن طريقة أدائه، وهي تفسير الأحرف السبعة في الحديث المروي (أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف ظهر وبطن)[1] رأيت هذا النص للحديث هو الأوثق مما روي بطرق وأقوال مختلفة كثيرة ذكرها الطبري في مقدمة تفسيره وجمعها القرطبي على خمسة وثلاثين قولاً وذكرها الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) وكذا السيوطي في كتاب الإتقان على نحو الأربعين قولاً وكذا عبد العظيم الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان) وغيرها من المصادر التي أدّلت وشرحت وفصلت في مدلول الحديث وفيها كثير من التزيد والأخبار البعيدة حد الوهم، وقد أوضحها السيد أبو القاسم الخوئي في كتابه (البيان في تفسير القرآن) كما حدد دلالة القراءات القرآنية تحديداً أوضح فيه سبب خلافاتها ذاكراً قول الزركشي (إن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها. .)[2].

ليس هذا قصدنا من مصطلح القراءة هنا فلهذا بحث مستقل لا مجال لوضعه هنا.

فالقراءة التي أريد هنا ما يعنيه مصطلحها الحديث لبيان بعض أسرار هذا النص في خلوده وإعجازه، وهي استيعاب النص وإعادة كتابته كما استوعبه متلقيه

وهي الموصوفة بالقراءة الإبداعية[٣]. فهنا يكون بكل متلق قراءة قد تتقارب وقد تتباعد عن قراءة الآخر، وفي القرآن الكريم يُقبل اختلاف القراءات على ألا تتناقض مفاهيمها، فالإطار الدلالي عام ويكون الخلاف في ضمنه، فللغويين قراءة للقرآن الكريم أنتجت التفسير اللغوي في كتب معاني القرآن وإعرابه ومجازه وغريبه ومفرداته، ثم بعد ذلك اتسعت لدى الموسوعيين في تفسيرهم كأبي حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط) والزمخشري في تفسيره (الكشاف عن حقائق التنزيل. .).

ولعلماء الأثر قراءة أنتجت التفسير بالمأثور كتفسير الطبري، وللفقهاء والأصوليين قراءة أنتجت التفاسير التي يغلب عليها ذلك، وللفلاسفة والعرفانيين قراءة، وللمتصوفة قراءة ذهبوا بها مذهب التواحد والكشف.

نبدأ هنا بقراءة اللغويين للقرآن الكريم وظهور التفسير اللغوي. والمعروف أن أكثر من روى عنهم التفسير من الصحابة الإمام علي ـ عليه السلام ـ، ومن أوائل من كثر عنهم التفسير اللغوي عبد الله بن عباس (٦٨هـ) وهو من دعا له الرسول صلى الله عليه وآله. بقوله (اللهم فقهه بالدين وعلمه التأويل) فقد كثرت الرواية عنه حتى كان النصف من الأحاديث في التفسير يسند إليه[٤]. وقد روي له عملان: أحدهما أجوبته لنافع بن الأزرق (٦٥هـ) عن كلمات في القرآن الكريم يطلب معناها والشاهد لورودها في كلام العرب وهي المسماة بـ (مسائل نافع بن الأزرق)

وعددها ١٨٩ مسألة حققتها الدكتورة بنت الشاطئ ونشرتها في كتابه (الإعجاز البياني للقرآن) ط دار المعارف بمصر.

والعمل الآخر المروي عنه (اللغات في القرآن) رواية ابن حسون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس. حققها الدكتور صلاح الدين المنجد وطبعها في كتاب في بيروت ١٩٧٢ وقد كان منهجه الاستشهاد بالشعر في تفسيره وهو القائل: (الشعر ديوان العرب فإذا خفي عليهم الحروف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك[٥].

وروي عنه: إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب.

والتفسير اللغوي هو القسم الأول من أقسام التفاسير التي روي خبرها عن ابن عباس نفسه، وهو ما يرجع فيه إلى لسان العرب وأساليبها، ومرجعه إلى أمرين: أحدهما اللغة ومعاني مفرداتها، والآخر الإعراب. وهذا التفسير صار مرجعاً لأصحاب التفاسير بعد ذلك. ومن المعلوم أن الإلمام بالمعرفة اللغوية وعلومها ينبغي للمفسر أن يتصف بها لكن التفسير اللغوي في عرف بعض الفقهاء والمحدثين لا يبعد عن تفسير القرآن بالرأي وبخاصة احتجاجه بالشعر، فيرون أن التفسير باعتماده على النص وحده وفق استعمالات العرب لا يصح في القرآن، فقد روي أن أحمد بن حنبل نهى أبا عبيد القاسم بن سلّام (٢٢٤هـ) أن يتخذ أبا عبيدة (٢١٠هـ) والفراء (٢٠٧هـ) إمامين يحتج بهما في معاني القرآن.

ولكن هذا الرأي منقود. قال أبو بكر بن الأنباري (٣٢٨هـ): قد جاء عن الصحابة والتابعين كثير من الاحتجاج عن غريب القرآن ومشكله بالشعر، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن - وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن، وهو مذموم في القرآن والحديث.

قال: وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر[٦]، لأن الله تعالى قال: (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**) آية ٢- يوسف، وقال: (**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً**. . .) آية ١١٣- طه، وقال: (...**وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**) ١٠٣ - النحل.

إن هذا النقد والرفض للتفسير اللغوي لا يدل على نظر سليم، فقد قدم هذا التفسير اللغوي دراسات جادة للنص القرآني وهو توثيق له وتحليل لتراكيبه وتوضيح لمبهمه ثم هو كان الباب للتفسير الموسوعي، فقد اعتمد عليه المفسرون ولم يستغنوا عن شيء منه حتى قيل فيه: وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن، الفراء والأخفش والزجاج.

سألقي الضوء على مؤلفات من التفسير اللغوي لاحقاً إنشاء الله ■

---

(١) المجازات النبوية - الشريف الرضي (ص٥١) حديث (٥٨).

(٢) البرهان للزركشي ٣٩٥/١ – ٣٩٦.

(٣) ينظر المعجم الوسيط (قرأ)، إشكاليات القراءة وآليات التأويل - نصر حامد أبو زيد ٦، معجم المصطلحات العربية. مجدي وهم، كامل المهندس (القراءة) ٢٨٧.

(٤) مجمع البيان - الطبرسي ١٦٨/١ وانظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١٤/٢- ١٦.

(٥) البرهان للزركشي ٣٦٩/١، الإتقان للسيوطي ٢٥٥/١

(٦) ينظر الإيضاح في الوقت لابن الأنباري ١٠٠-١٠٩، البرهان في علوم القرآن ٢٩/٢، ٢٩٦.

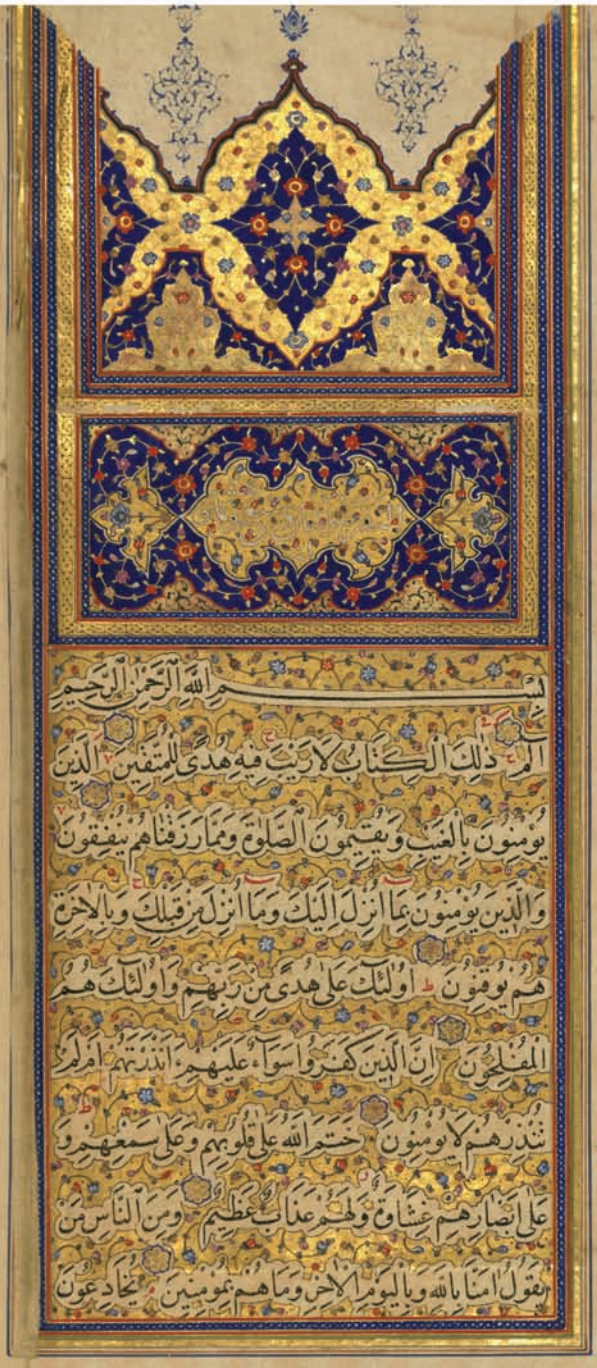

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين
يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة
هم يوقنون ط اولئك على هدى من ربهم واولئك هم
المفلحون ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم و
على ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ومن الناس من
يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين يخدعون

# مصطلح علوم القرآن

**حسين جودي كاظم الجبوري** •
المكتبة الفقهية القانونية المختصة

ينابيع

علوم القرآن، هذا المصطلح المتداول يتركب من كلمتين، (العلم) و(القرآن) وعندما نطلع عليهما نعرف ما المقصود من هذه العبارة، فالعلم يعني معرفة الشيء أو إدراكه، أي معرفة الموضوع الذي تضاف إليه تلك الكلمة، فعندما نقول علم الطب مثلاً أو علم النفس أو علم الفلك، فيراد به معرفة موضوعات هذه العلوم ومسائلها وعن ماذا تبحث؟ فعندما نضيف هذه الكلمة إلى (القرآن) ونقول: (علوم القرآن) فنعني بها (جميع المعلومات والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم).

ومنه نعرف أيضاً أن للقرآن الكريم اعتبارات وحيثيات مختلفة، أي له جهات مختلفة من البحث ومتعددة، وبكل واحدة من تلك الاعتبارات تشكل موضوعاً لبحث معين، وسنذكر لك أمثلة من تلك المواضيع المتعددة التي تكشف عن اختلاف وجهات النظر والبحث المأخوذة من مائدة القرآن الكريم، أما الشق الثاني من هذا المصطلح وهو كلمة (القرآن) فيأتي الحديث عنها أيضاً عند تناول أسماء القرآن وأوصافه بعد قليل.

أما جهات البحث في القرآن فأهمها أن القرآن بوصفه كلاماً دالاً على معنى فيكون موضوعاً لعلم التفسير، فعلم التفسير يشمل دراسته فيشرح معانيه ويفصل القول في مقاصده، ولأجل ذلك كان علم التفسير من أهم علوم القرآن وأساسها جميعاً،

فالنظر في القرآن الكريم من حيث كونه كلاماً له معنى ولله تعالى فيه قصد وهدف فلأجل بيان هذا المعنى وشرحه والإفصاح عن الهدف نشأ علم التفسير الذي تكفل بهذه المهمة، ونشأت للتفسير أساليب ومذاهب وصار فيه شروط وآداب وصار المفسرون على طبقات.

وقد ينظر إلى القرآن بوصفه معجزة ودليلاً على صدق النبوة وحجة من الله تعالى على البشر فيكون موضوعاً لعلم إعجاز القرآن.

وقد ينظر إلى القرآن باعتباره نصاً عربياً جارياً وفق اللغة العربية فيكون موضوعاً لعلم إعراب القرآن وعلم البلاغة.

وقد ينظر إلى القرآن من جهة أنه المصدر الأساس لمعرفة أحكام الشريعة فبهذا الاعتبار يكون موضوعاً لعلم يختص بآيات الأحكام من القرآن.

وقد ينظر إلى آيات القرآن باعتبارها ارتبطت بأحداث تاريخية معينة في عهد النبي ﷺ وكانت من دواعي نزول النص القرآني فالنظر في الآيات ومعرفة ما نزل فيه لسبب معين وهل يؤخذ بهذا السبب دائماً أو يبقى في مجال نزولها، مع أخذ الظروف المحيطة بتلك الآية والأشخاص بنظر الاعتبار، كل ذلك تكفل به علم أسباب النزول.

وقد يؤخذ القرآن باعتباره لفظاً عربياً

مكتوباً بخط وبشكل خاصين فهل كتابته ورسمه توقيفية ورد عليها النص، أم يجوز مخالفة رسمه حسب الخط والإملاء الشائع في كل زمن فيكون موضوعاً لعلم رسم القرآن وطريقة كتابته؟.

وقد ينظر إلى القرآن بما هو كلام نتلفظ به بشكل خاص فنحتاج إلى ضبط حروف الكلمات القرآنية وحركاتها وطريقة قراءتها وغير ذلك من البحوث التي تتعلق بعلم قراءات القرآن الذي يتم فيه البحث عن أنواع القراءات المروية والمعتبرة واختلافها والقراءات السبع وغير ذلك.

وقد ينظر إلى آيات القرآن الكريم من حيث زمان أو مكان نزولها على النبي صلى الله عليه وآله فتقسم على أنها مكية أو مدنية فيتولى علم المكي والمدني ذلك.

وهكذا توجد علوم أخرى، فعلوم القرآن جميعها تلتقي وتشترك في اتخاذها القرآن موضوعاً لدراستها ولكنها تختلف من جهة البحث، وعلى هذا فقد تكون الآية الواحدة موضوعاً لعلمين أو أكثر، فننظر إليها من جهة سبب نزولها أو استخراج حكم شرعي منها أو أنها نزلت في مكة أو المدينة وغير ذلك.

أما من الناحية التاريخية لعلوم القرآن ومتى بدأ الاهتمام بها، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله لوجوده بين المسلمين يوضح لهم ما أشكل عليهم فهمه ويبصرهم بحقائق التفسير ويوجههم نحو المقاصد القرآنية قال تعالى: (**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**...) آل عمران/١٦٤، فكان الناس يرجعون إليه فيما يحتاجون فكانت علوم القرآن توجد عن طريق التلقين والمشافهة أي إنها لم تدون ولكن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتوسع الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بشعوب العالم الأخرى التي لها لغاتها وطريقتها في الكلام والتفكير، فكان هناك شعور بالاهتمام والخوف على سلامة القرآن الكريم أدى إلى القيام بنشاطات مختلفة كان من نتيجتها (علوم القرآن) وما استلزمه من بحوث وأعمال.

كان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قد سبق غيره في هذه الخطوة فانصرف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة إلى جمع القرآن، وكذا أملى أنواعاً مختلفة من علوم القرآن، فالمشهور أنه عليه السلام أمر أبا الأسود الدؤلي بوضع قواعد اللغة العربية فكان عليه السلام أول من وضع الأساس لعلم إعراب القرآن، أما في التفسير فأكثر من روي عنه من الخلفاء هو الإمام علي عليه السلام فهو يقول: (والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت، إن ربي وهب لي قلباً وعقلاً ولساناً سؤلا).

ومن الصحابة الأوائل في التفسير والتأويل عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ورئيس المفسرين، كما ذكره أبو الخير في طبقات المفسرين وفيه قال الزركشي وصدور المفسرين علي ثم ابن عباس إلا أن ابن عباس كان قد أخذ من علي.

ومن المفسرين أيضاً سعيد بن جبير (ت٩٤هـ) وهو من أعلم التابعين في التفسير وكان من خلص الشيعة وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر - أي التشيع -، وقال سفيان الثوري: (خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك)، وقال قتادة: (كان

سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير) ومن أراد الاطلاع أكثر فليراجع ما كتبه السيد حسن الصدر في كتابه (الشيعة وفنون الإسلام) حول تقدم الشيعة في ذلك.

## أسماء القرآن وأوصافه

لكل فكر مصطلحات خاصة به وليس من الصواب قبول اصطلاح ما بغض النظر عن القيم الفكرية التي يستند إليها، فلكل مفهوم قاعدته العقيدية أو فلسفته المستند إليها، فمن الجهل مثلاً أن نبحث عن مفهوم (التقوى) في الفكر الرأسمالي، وكذا لفظ (الحرية والعدالة) أيضاً يختلف مفهومه في الفكر الإسلامي عما هو عليه في الأفكار الأخرى.

إذن استعمال المصطلحات يكون على اعتبار الأغراض التي تعكسها أو وضعت لأجلها.

ونحن نعلم أن نزول القرآن الكريم وهو كلام الله تعالى وحياً على النبي صلى الله عليه وآله قد اختار له سبحانه أسماء مخالفة لما يسمي به العرب كلامهم، فعند العرب الديوان والقصيدة والبيت الشعري والقوافي، فلم يقتبس الإسلام شيئاً من هذه الأمور لقصور الجاهلية عن تصوير المعاني الإسلامية، لأن المسميات أو المصطلحات الجاهلية هي وليدة التفكير الجاهلي وأعرافه وحاجاته.

إذن بنزول القرآن بلسان عربي مبين نجد أن الإسلام ينهج في اصطلاحاته نهجاً يتفق مع ما جاء به من فكر وقيم ومفاهيم، ويطلق تسمياته حسب أغراض يريدها أن تتجاوب مع تصوراته، لإيجاد طابع خاص متميز وعلامات فارقة بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات، فلا نستطيع تسمية فواصل الآيات مثلاً بالقوافي لأن الله تعالى لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية عنه، وهذا نجده أيضاً في مظاهر أخرى مختلفة، وما تحويل القبلة وتعيين أعياد خاصة بالمسلمين وتسمية من لم يتبع الإسلام بالجاهلية إلا مؤيدات لهذا الطابع الخاص والحرص على إيجاد أمة مستقلة عن سائر الأمم الغارقة في الجهل والخرافات، مستقلة عنها في الفكر والسلوك والعواطف، وهكذا كانت أمة الإسلام كما أرادها الله تعالى ووضعها الرسول الكريم (خير أمة أخرجت للناس).

إذن سمى الله تعالى كلامه المنزل المعجزة بأسماء مختلفة عن ثقافة العرب السائدة، ومن أسمائه القرآن والكتاب والفرقان والكلام والهدى وغير ذلك من الأسماء والأوصاف فتناول العلماء أسماء القرآن بالبحث وقد أوصل بعضهم عددها إلى (٥٥) اسماً، وأكثر ما ذكر من أسماء القرآن هي أوصاف مناسبة لكتاب الله تعالى، أي إن لكل اسم من أسمائه أو وصف من أوصافه مناسبة أو مقارنة لمضمون معين، وإليك بعض الأسماء مع بيان المناسبة:

١. القرآن الكريم، قال تعالى: (**لَوْ أَنزَلْنَا هَـذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) الحشر/٢١، فإن قلنا إن الأصل في لفظ القرآن ومصدره مأخوذ من معنى الجمع فسمي قرآناً لأنه جمع القصص والأمر والنهي والآيات والسور بعضها إلى بعض، وإلى هذا المعنى ذهب جماعة كبيرة من اللغويين وأنه الأصل فيه وهو أقرب المعاني

انسجاماً ومناسبة للواقع القرآني فيما ضم من الأحكام العامة والقواعد الكلية والأسس الرئيسية للشريعة الإسلامية الغراء.

وإن قلنا إن أصل لفظ القرآن ومصدره مأخوذ من القراءة أي بمعنى النطق المكتوب، فإن كثرة قراءته وترداده على الألسن مما يؤدي إلى حفظه في الصدور.

ونحن هنا في هذه الدراسة لبيان مصطلح علوم القرآن نقول في تعريف (القرآن) بأنه (وحي الله تعالى المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله لفظاً ومعنى وأسلوباً، المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر).

وقيد (لفظاً ومعنى وأسلوباً) خرج له الحديث القدسي وهو أيضاً ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله ولكنه لم يثبت نظمه في القرآن، وخرج أيضاً التفسير وترجمة القرآن إلى لغات أخرى لأن الألفاظ اختلفت والأسلوب وإن اتفقت المعاني.

٢. ومن أسمائه (الكتاب) قال تعالى: **(ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)** سورة البقرة/٢، فالكتاب المتبادر منه هو الصحيفة أو صحائف ضبطت فيها طائفة من المعاني عن طريق القلم وغيره، كما أن الكتابة هي جمع للحروف ورسم للألفاظ فتسميته بالكتاب إشارة إلى جمعه في السطور وإلى الترابط بين مضامينه ووحدتها في الهدف بالنحو الذي يجعل منها كتاباً واحداً.

٣. ومن أسمائه (الفرقان) قال تعالى: **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)** سورة الفرقان/١، ومادة هذا اللفظ تفيد التفرقة فكأن التسمية تشير إلى أن القرآن هو الذي يفرق بين الحق والباطل باعتباره المقياس الإلهي للحقيقة في كل ما يتعرض له من موضوعات.

وهناك أوصاف أخرى للقرآن الكريم منها (شفاء) إشارة إلى أثره في معالجة أمراض القلوب بل هو شفاء للجسم أيضاً لما فيه من قواعد الصحة العامة الوقائية كقوله تعالى **(يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)** سورة الأعراف/٣١، أو وصفه بالنور لأن الرؤية لا تتم ـ مع وجود البصر ـ إلا بالنور، والعقل مع قدرته على الإدراك فإنه لا يستطيع الوصول إلى كثير من الحقائق ولا يهدي إليها إلا بالقرآن وتوجيهاته النيرة.

ونجد أن العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ج١٢ ص١٠٤-١٠٥، قد استخدم أوصاف القرآن في إثبات أن القرآن مصون عن التحريف، فهو يذكر أن هناك أوصافاً زاكية جميلة قد وصف بها القرآن بأنه نور وأنها هاد يهدي إلى الصراط المستقيم وإلى الملة التي هي أقوم، ونجد ما بأيدينا من القرآن لا يفقد شيئاً من ذلك ولا يهمل من أمر الهداية والدلالة ولا دقيقة.

ومن أجمع الأوصاف التي يذكرها القرآن لنفسه أنه ذكر الله تعالى فإنه يذكّر به تعالى بما أنه آية دالة عليه حية خالدة وبما أنه يصفه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويصف سنته في الصنع والإيجاد، ويصف ملائكته وكتبه ورسله ويصف شرائعه وأحكامه ويصف ما ينتهي إليه أمر الخلقة وهو المعاد ورجوع الكل إليه سبحانه وتفاصيل ما يؤول إليه أمر الناس من السعادة والشقاء والجنة والنار، ففي جميع ذلك ذكر الله تعالى وهو الذي يرومه

القرآن بإطلاق القول بأنه ذِكر، ونجد ما بأيدينا من القرآن لا يفقد شيئاً من معنى الذِكر، ولكون الذِكر من أجمع الصفات في الدلالة على شؤون القرآن عبر عنه بالذِكر في الآيات التي أخبر فيها عن حفظه القرآن من البطلان والتغيير والتحريف كقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) سورة الحجر/٩، فقد أطلق الذكر وأطلق الحفظ فالقرآن محفوظ بحفظ الله عن كل زيادة ونقيصة وتغيير في اللفظ والترتيب يزيله عن الذِكرية ويبطل كونه ذِكراً لله تعالى سبحانه.

وفي ختام هذه الدراسة نشير إلى ورود حث شديد على تدارس القرآن وتدبر معانيه والتفكر في مقاصده وأهدافه قال تعالى: (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**) سورة محمد/٢٤، وفي هذه الآية توبيخ عظيم على عدم إعطاء القرآن حقه من العناية والتدبر.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان زيادة في هدى أو نقصان في عمى...).

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: (حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وآله عشر آيات فلا يأخذون العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل).

والأحاديث في فضل تدبر القرآن كثيرة، لأن القرآن هو الدليل الخالد على النبوة والدستور الثابت للأمة الإسلامية في مختلف شؤونها، وكتاب هداية أخرج العالم من الظلمات إلى النور أنشأ أمة وأمدها بالقوة وعلمها مكارم الأخلاق وبنى لها أعظم حضارة عرفها الإنسان إلى يومنا هذا ■


المصادر:

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، منشورات الأعلمي، الأولى، ١٩٩٧.

(٢) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة شهيد المحراب، الأولى، ٢٠٠٥م.

(٣) موجز علوم القرآن، داود العطار.

(٤) الشيعة وفنون الإسلام، السيد حسن الصدر، مطبعة الفرقان، صيدا، ١٣٣١هـ، مطبوعات النجاح، طهران.

(٥) مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام، السيد عبد الحسين شرف الدين، الثانية، مكتبة النجاح، طهران.

# حركة السفياني

## الحد الفاصل والعلامة الحتمية

علي الفحام •

**ينابيع** يشهد المناخ السياسي العربي موجة عاصفة من الحراك الشعبي غير المسبوق لرسم مرحلة جديدة تتجاوز الواقع الشمولي الذي فرضته الأنظمة الحاكمة إلى واقع تأخذ فيه القوى والتيارات الشعبية (عنانَ المبادرة) في (ولاية الأمر) وإدارة (العمل السلطوي)، ويترافق هذا الحراك الشعبي مع تصدعات في القوى العالمية وانهيار وشيك للنظام الاقتصادي الدولي سيغير كل المعادلات في المنطقة.

ولا ينبغي التعاطي مع مثل هذه الأحداث (الدراماتيكية) بأسلوب التغافل واللامبالاة، لأن ثمة رؤية (عقائدية) تتجاوز الحدث السياسي والأمني، وتفرض على الحالة الشيعية ممارسة (تكليفها الشرعي) تجاه أي حدث (تتوقع) أن يكون جزءاً من سلسلة الأحداث التي ذكرتها روايات أهل البيت عليهم السلام حول (الفرج الكبير) و (الفتح الموعود) الذي سيقوم به إمام زماننا المفدى الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه.

وحيث إن أول أرض ننتظر (خرابها) هي (أرض الشام) بحسب ما ورد في الآثار الشريفة، فإن من الضرورة القصوى دراسة (حركة السفياني) ومحوريتها في أحداث الظهور، ومن ثم نحاول ـ من خلال روايات أهل البيت عليهم السلام ـ أن نحدد المسؤولية والتكليف الشرعي على المؤمنين في حالة خروج السفياني

المذكور في الروايات.

## السفياني في مصادر الفريقين

يرى بعض المحققين المعاصرين أن ذكر السفياني قد (اختصت به المصادر الإمامية، وليس له في المصادر الأولى للعامة أي أثر..)، وهو كلام يفتقد إلى الدقة والتحقيق، فقد وردت الإشارة للسفياني في مصادر مختلفة من كتب الحديث والسيرة والتفسير عند العامة، منها ما ذكره الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥) في مستدركه ٤٦٨/٤ عن ابن مسعود قال: (قال لنا رسول الله ﷺ أحذركم سبع فتن.. وفتنة من بطن الشام وهي السفياني)، وفي المستدرك أيضاً ٥٠١/٥: (عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: يظهر السفياني على الشام ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسا..)، وفي المصدر نفسه ٥٢٠/٤: (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، يخرج رجل يقال له (السفياني) في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده...)، قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، وقد ذكر حديث السفياني عامة مفسري السنة كابن جرير الطبري (ت٣١٠) والثعلبي (ت٤٢٧)

والسمعاني (ت٤٨٩) وآخرين في تفسير الآيتين ٥١ و٥٢ من سورة سبأ، وأورد خبره الزمخشري (ت٥٣٨) في (الفائق في غريب الحديث ١٨١/٢)، وذكره ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ٥٩/٧ في بيان اعتقاد أهل السنة في الإمام المهدي عليه السلام إذ قال: (اسمه محمد، كاسم رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنه إنما يظهر بعد أن يستولي على كثير من الإسلام مَلِكٌ من أعقاب بني أمية، وهو السفياني الموعود به في الخبر الصحيح...) وهناك مصادر أخرى تركناها اختصاراً، ومن أهم رواة السنة الذين أسهبوا بنقل روايات السفياني صاحب الملاحم والفتن نعيم بن حماد المروزي (ت٢٢٩) وهو شيخ البخاري وقد وثقه جمع من أعلامهم وأرباب الجرح والتعديل عندهم.

أما في المصادر الشيعية فخبر السفياني من الأخبار المتواترة التي وردت في أمهات المصادر الحديثية كالكافي وكمال الدين وغيبة الطوسي والنعماني وغيرها حتى أصبح من العقائد الثابتة التي يتناقلها رواة الشيعة من زمان الأئمة عليهم السلام وحتى يومنا هذا.

وتعبير (السفياني) هو التعبير الغالب في روايات الفريقين، وإن عبرت عنه إحدى الروايات الشيعية بالشامي ووصفته روايات أخرى بأنه (رجل من أهل بيت أبي سفيان) أو (ابن آكلة الأكباد) أو (خارج من آل أبي سفيان)، والذي يظهر من الروايات الشريفة أن السفياني يرجع في نسبه إلى بني أمية وبالذات إلى أبي سفيان، ويتلقى دعماً مهماً من أخواله (بني كلب) الذين يشكلون عماد جيشه بجنوده وضباطه، ويمثل السفياني خلاصة الفكر الأموي المعادي لخط الإسلام فهو يختزن في خطابه وتحركه الميداني كل أدبيات البيت الأموي الملحد الكافر، كما أن الإمام المهدي عليه السلام يختزن كل أدبيات أهل البيت عليهم السلام ويسير في تحركه الميداني لسحق الانقلاب العقائدي الذي قام به تحالف بعض البيوتات القرشية مع بني أمية في صدر الإسلام، فقد روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كتابه معاني الأخبار ص٣٤٦ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله. قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله، وقاتل معاوية علي بن أبي طالب عليه السلام، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي عليهما السلام، والسفياني يقاتل القائم عليه السلام).

## السفياني من المحتوم

أول ما يلفت النظر في روايات السفياني تشديد الأئمة عليهم السلام على حتمية ظهوره وأنه من أهم العلامات الحتمية اللازمة، بل إن بعض الروايات أشارت إلى أن خروج السفياني هو من السنن الإلهية التي لا تنفك عن خروج الإمام المهدي عليه السلام، وكأن النزاع الأموي مع الإسلام حركة ممتدة وسنة قائمة عبر التاريخ ولا ينتهي هذا الصراع إلا على يد القائم عليه السلام، فقد ورد عن الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام (إن أمر القائم حتم من الله، وأمر السفياني حتم من الله، ولا يكون قائم إلا بسفياني) (قرب الإسناد ص٣٤٧)، فقوله عليه السلام: (ولا يكون قائم إلا بسفياني) قد يوضح هذه الحقيقة، ويبدو أن خبر السفياني كان معروفاً عند كثير من أصحاب الأئمة عليهم السلام بسبب كثرة ذكره في

مجالس الحديث وحلقات الرواية فضلاً عن التأكيد الواضح من قبل الأئمة عليهم السلام، ولهذا نجد في أسئلة الشيعة للأئمة عليهم السلام ما يوحي باهتمام استثنائي بهذه القضية، وقد وردت روايات السفياني عن جملة من كبار أصحاب الأئمة وثقاتهم وفقهاء الشيعة في زمانهم، فعن فضيل بن يسار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (إن خرج السفياني ما تأمرني؟)، وعن الحضرمي قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف نصنع إذا خرج السفياني؟) (بحار الأنوار ٢٧٢/٥٢)، وقد أفرد شيخنا النعماني (ت٣٨٠) رحمه الله باباً مستقلاً في كتابه الغيبة ص٣١٠ بعنوان (ما جاء في ذكر السفياني، وأن أمره من المحتوم، وأنه قبل قيام القائم عليه السلام) وقد ذكر فيه تسعة عشر رواية جلها في التأكيد على حتمية السفياني ودوره المحوري في أحاديث الظهور المقدس، ومن تلكم الروايات ما ورد عن عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (السفياني من المحتوم، وخروجه في رجب)، وعن معلى بن خنيس، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من الأمر محتوم، ومنه ما ليس بمحتوم، ومن المحتوم خروج السفياني في رجب)، وعن عبد الملك بن أعين، قال: (كنت عند أبي جعفر عليه السلام فجرى ذكر القائم عليه السلام، فقلت له: أرجو أن يكون عاجلاً ولا يكون سفياني. فقال: لا والله إنه لمن المحتوم الذي لا بد منه)، وعن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إن من الأمور أموراً موقوفة وأموراً محتومة، وإن السفياني من المحتوم الذي لا بد منه)، وفي كمال الدين ٦٥٢: عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: إن خروج السفياني من الأمر المحتوم؟ قال لي: نعم)، وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (النداء من المحتوم، والسفياني من المحتوم. . .)، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام في قوله تعالى: (فقضى أجلاً وأجل مسمى عنده) قال: إنهما أجلان: أجل محتوم، وأجل موقوف، قال له حمران: ما المحتوم؟ قال: الذي لا يكون غيره، فقال [حمران]: وما الموقوف؟ قال عليه السلام: هو الذي لله فيه المشية، قال حمران: إني لأرجو أن يكون أجل السفياني من الموقوف، فقال أبو جعفر عليه السلام: (لا والله إنه من المحتوم)، وفي بحار الأنوار ٢٥٠/٥١-٢٥١: عن البطائني قال: رافقت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام من مكة إلى المدينة، فقال يوما لي: لو أن أهل السماوات والأرض خرجوا على بني العباس لسُقِيَت الأرض دماءهم حتى يخرج السفياني قلت له: يا سيدي أمره من المحتوم؟ قال: (من المحتوم)، وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول [بعد أن ذكر السفياني]: (وهو من الأمر المحتوم الذي لابد منه).

## مرحلة السفياني. . الحد الفاصل

يظهر من بعض النصوص أن خروج السفياني يؤسس لمرحلة جديدة يتعلق شطر منها بغيبة الإمام المهدي عليه السلام ونظام حركته، بينما يرتبط الجانب الآخر منها بالوظيفة الشرعية الملقاة على عاتق المؤمنين تجاه الفتح الإلهي الموعود.

وفي الشطر الأول يبرز التوقيع الرفيع المروي عن السفير الرابع الفقيه الجليل علي بن محمد السمري قدس سره، وهو آخر

توقيع صدر عن مولانا الحجة سلام الله عليه وإلى يومنا هذا، ولأهميته التاريخية والعقدية نورد النص الكامل له برواية الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كمال الدين ص٥١٦:

(حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري - قدس الله روحه - فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: (بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية [أو التامة] فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب [أو كذاب] مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). قال [أبو محمد المكتب]: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه. ومضى رضي الله عنه، فهذا آخر كلام سمع منه).

ويظهر من قوله عليه السلام: (ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك) انتهاء أي شكل من أشكال النيابة بوفاة السفير الرابع في النصف من شعبان سنة ٣٢٩، كما يبدو من قوله عليه السلام: (خروج السفياني والصيحة) أن الواو هنا بمعنى (أو)، أي إن السقف الزمني لإمكانية الظهور المقدس وانتهاء الغيبة التامة سيتحقق في رجب (حيث خروج السفياني) أو في رمضان (حيث تكون الصيحة) في السنة السابقة لموعد ظهور الإمام المذكور أنه في محرم الحرام، والترديد بين خروج السفياني والصيحة يوحي أن المسألة ريما تخضع للبداء أو الأجل الموقوف، يقول الشيخ الكوراني في كتابه (عصر الظهور) ص٢٥٣: (ويدل التوقيع الشريف على أن الغيبة التامة الكبرى تنتهي بخروج السفياني والصيحة. وتكون الغيبة بعدها اختفاء شبيهاً بالغيبة الصغرى مقدمة للظهور، أي يكون فيها الإمام عليه السلام متخفياً عن أعين الظالمين وأجهزة مخابراتهم، ولكنه يتصل بأنصاره، ويتشرف العديد منهم بلقائه، وقد ينصب سفراء يكونون واسطة بينه وبين المؤمنين. بل يبدو من الرواية التالية أنه يظهر بعد خروج السفياني ثم يختفي إلى وقت ظهوره الموعود في محرم، ففي رواية حذلم بن بشير عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: (فإذا ظهر السفياني اختفى المهدي ثم يظهر بعد ذلك) البحار ج ٥٢ ص ٢١٣، ولا تفسير لها على مذهبنا إلا أنه عليه السلام يظهر للناس بعد خروج السفياني في رجب، ثم يختفي إلى وقت ظهوره المحدد في محرم. ولم تحدد الرواية هل يكون هذا الظهور قبل النداء السماوي في شهر رمضان أو بعده).

## الوظيفة الشرعية عند خروج السفياني

يتضح من خلال جمع من الروايات ذات المضامين المشتركة أن ثمة وظيفة محددة من الأئمة عليهم السلام للمؤمنين - خصوصاً أهل العراق وبالأخص أهل الكوفة - في حالة التأكد من خروج السفياني، وتتلخص هذه

الوظيفة الشرعية الجهادية بالآتي: على الرجال بذل أقصى الجهد في الالتحاق بالإمام المهدي عليه السلام في مكة المكرمة حيث منطلق الفتح المبين في شهر محرم الحرام، وحيث إن السفياني يخرج في رجب على ما ذكرته الآثار الشريفة فإن بعض الروايات حددت شهر شعبان موعداً لبدء السفر إلى مكة أو الصوم في الموطن ثم السفر بعد شهر رمضان، أما العيال والنساء فالواجب إخراجهم من الكوفة وسوادها باتجاه مناطق آمنة إلى الشرق من نهر الفرات حتى لا يتعرضوا لعمليات السلب والسبي التي يقوم بها جيش السفياني في غزوه العسكري للمنطقة.

أما الروايات التي توضح هذه الوظيفة الشرعية فهي واضحة الدلالة قوية الإسناد يؤيد بعضها بعضاً ويكمل بعضها بعضاً:

١. الكافي ٨/٢٦٤: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن بكر بن محمد، عن سدير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (يا سدير الزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك).

٢. الكافي ٨/٢٧٤: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن الفضل الكاتب قال [أبو عبد الله عليه السلام]: (لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفياني فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا - يقولها ثلاثا - وهو من المحتوم).

٣. غيبة النعماني ٣١٨: حدثنا محمد بن همام، قال: حدثني جعفر بن محمد بن مالك، قال: حدثني الحسن بن وهب، قال: حدثني إسماعيل بن أبان، عن يونس بن أبي يعفور، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا خرج السفياني يبعث جيشاً إلينا [يعني المدينة] وجيشاً إليكم [يعني الكوفة]، فإذا كان كذلك فأتونا على كل صعب وذلول).

٤. غيبة النعماني٣١٣: حدثنا محمد بن همام، قال: حدثني جعفر بن محمد بن مالك، قال: حدثني عباد بن يعقوب، قال: حدثنا خلاد الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (السفياني لا بد منه، ولا يخرج إلا في رجب)، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، إذا خرج فما حالنا؟ قال: (إن كان ذلك فإلينا).

٥. غيبة النعماني ٣١١: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدثنا علي بن الحسن التيملي في صفر سنة أربع وسبعين ومائتين، قال: حدثنا الحسن بن محبوب، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم، قال: (. . . وكفى بالسفياني نقمة لكم من عدوكم، وهو من العلامات لكم مع أن الفاسق لو قد خرج لمكثتم شهراً أو شهرين بعد خروجه لم يكن عليكم بأس حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم).

فقال له بعض أصحابه: فكيف نصنع بالعيال إذا كان ذلك؟ قال: (يتغيب الرجال منكم عنه، فإن حنقه وشرهه فإنما هي على شيعتنا، وأما النساء فليس عليهن بأس إن شاء الله تعالى). قيل: فإلى أين يخرج الرجال ويهربون منه؟ فقال: (من أراد منهم أن يخرج، يخرج إلى المدينة أو إلى مكة أو إلى بعض البلدان)، ثم قال: (ما تصنعون بالمدينة، وإنما يقصد جيش الفاسق إليها، ولكن عليكم بمكة فإنها مجمعكم، وإنما فتنته حمل امرأة: تسعة

أشهر، ولا يجوزها إن شاء الله).

٦. الكافي ٢٦٤/٨: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن عيص بن القاسم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (... إذا كان رجب فأقبلوا على اسم الله عز وجل، وإن أحببتم أن تتأخروا إلى شعبان فلا ضير، وإن أحببتم أن تصوموا في أهاليكم فلعل ذلك أن يكون أقوى لكم، وكفاكم بالسفياني علامة).

٧. بحار الأنوار ٢٧١/٥٢: عن ابن محبوب، عن ابن عاصم الحافظ، عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إذا سمعتم باختلاف الشام فيما بينهم فالهرب من الشام فان القتل بها والفتنة)، قلت: إلى أي البلاد؟ فقال: (إلى مكة، فإنها خير بلاد يهرب الناس إليها)، قلت: فالكوفة؟ قال: (الكوفة ماذا يلقون؟ يقتل الرجال إلا شامي ولكن الويل لمن كان في أطرافها، ماذا يمر عليهم من أذى بهم، وتسبى بها رجال ونساء وأحسنهم حالاً من يعبر الفرات، ومن لا يكون شاهداً بها)، قال: فما ترى في سكان سوادها؟ فقال بيده يعني: لا. ثم قال: (الخروج منها خير من المقام فيها)، قلت: كم يكون ذلك؟ قال: ساعة واحدة من نهار، قلت: ما حال من يؤخذ منهم؟ قال: (ليس عليهم بأس أما إنهم سينقذهم أقوام ما لهم عند أهل الكوفة يومئذ قدر، أما لا يجوزون بهم الكوفة).

٨. بحار الأنوار ٢٧٢/٥٢: وبإسناده عن إسماعيل بن مهران، عن ابن عميرة، عن الحضرمي قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام كيف نصنع إذا خرج السفياني قال: (تغيب الرجال وجوهها منه، وليس على العيال بأس، فإذا ظهر على الأكوار الخمس يعني كور الشام فانفروا إلى صاحبكم).

٩. أمالي الطوسي: الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم، عن الحسن بن علي الزعفراني، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام وذكر السفياني فقال: (أما الرجال فتواري وجوهها عنه، وأما النساء فليس عليهن بأس).

## حقائق عامة عن حركة السفياني

ذكرت الروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام بعض التفاصيل فيما يتعلق بحركة السفياني وعلاقتها بظهور الإمام المهدي عليه السلام:

* يخرج السفياني في شهر رجب الذي يسبق موعد الظهور المقدس للإمام عليه السلام في شهر محرم الحرام، فقد ورد عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن أمر السفياني من الأمر المحتوم، وخروجه في رجب) بحار الأنوار ٢٠٤/٥٢، وعن خلاد الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: السفياني لابد منه، ولا يخرج إلا في رجب) بحار الأنوار ٢٤٩/٥٢، وفي غيبة النعماني ٣١٠: عن عيسى بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (السفياني من المحتوم، وخروجه في رجب).

* يسير السفياني على بلاد الشام بعد صراع عنيف على السلطة مع رايتين أخريين هما (راية الأبقع - وهو يطلق في اللغة على من خالط البياض بشرته) و (راية الأصهب - وهو من كان في شعر رأسه ولحيته حمرة)، وقد اتفقت أكثر الروايات أن مدة حكم السفياني تسعة أشهر ابتداءً من سيطرته على بلاد الشام،

ففي رواية محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام: (وإنما فتنته حمل امرأة تسعة أشهر ولا يجوزها إنشاء الله) بحار الأنوار ١٤٠/٥٢، وعن عمار الدهني قال: قال أبو جعفر عليه السلام: كم تعدون بقاء السفياني فيكم؟ قال: قلت: حمل امرأة تسعة أشهر قال: ما أعلمكم يا أهل الكوفة) بحار الأنوار ٢١٦/٥٢، وعن عيسى بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السفياني من المحتوم وخروجه من أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهرا: ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً) بحار الأنوار ٢٤٩/٥٢، وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: (إذا استولى السفياني على الكور الخمس فعدوا له تسعة أشهر) بحار الأنوار ٢٥٢/٥٢، وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (لا يكون ذلك حتى يخرج خارج من آل أبي سفيان يملك تسعة أشهر كحمل المرأة) بحار الأنوار ٢٧١/٥٢.

* يبعث السفياني جيشاً جراراً إلى العراق، ويكون همه الأساس السيطرة على مناطق الأغلبية الشيعية وتصفية سكانها بالقتل أو السبي.

* يبعث السفياني جيشاً للقضاء على الإمام المهدي بعد سماع أنباء ظهوره في المدينة المنورة فيهرب الإمام عليه السلام إلى مكة ويتعرض جيش السفياني للخسف في صحراء الحجاز.

* بعد أن يقوم الإمام المهدي عليه السلام بتحرير العراق يتجه إلى بلاد الشام حيث يخوض المواجهة الحاسمة مع السفياني تنتهي بقيام الإمام عليه السلام بذبح السفياني على باب بيت المقدس أو عند بحيرة طبرية كما جاء في روايات من غير طريق أهل البيت عليهم السلام.

في غيبة النعماني ص٣١٠ عن الثقة الجليل جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: (فأول أرض تخرب أرض الشام ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون فيقتله السفياني ومن تبعه، ثم يقتل الأصهب، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيسياء (دير الزور حالياً)، فيقتتلون بها فيقتل بها من الجبارين مائة ألف، ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً، فبينا هم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان وتطوي المنازل طياً حثيثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثم يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على إثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على سنة موسى بن عمران عليه السلام. وقال: فينزل أمير جيش السفياني البيداء فينادي مناد من السماء: يا بيداء، بيدي القوم، فيخسف بهم. . . ).

وفي الختام فإن قلوبنا تنتظر لحظة النظر إلى تلك الراية المقدسة وهي تخفق بقدوم الحق، فواجبنا الاستعداد النفسي والعقائدي والبدني والعلمي لكي نحظى بشرف التوفيق لخدمة الإمام عليه السلام وطاعته والفوز برضوانه والحمد لله رب العالمين ■

# مرقد زيد بن صوحان العبدي

## بين الضياع والاندثار

حيدر المجد •

ينابيع

تزخر أرض العراق بعشرات المراقد المتناثرة هنا وهناك لعديد من الشخصيات الإسلامية التي أثّرت تأثيراً ملموساً في مجريات الأحداث التي احتفظ التاريخ بجزء منها، وترك الجزء الأكبر بين الإهمال والتلفيق حتى صارت الحادثة التاريخية تظهر بصور مختلفة، والسبب يعود لمن كتب التاريخ ودون مفرداته الذي كانت أمانته مقياساً لمدى نقله الصادق للأحداث.

على كل حال فقد أصبحت مراقد هذه الشخصيات معالم مهمة ومحطات نيرة تزدحم بالزائرين الذين يقصدونها لا يقدسون أجساداً، بل ليأخذوا من سيرة الأفذاذ دروساً في حياتهم ويقتبسوا نوراً من حياتهم المليئة بالمواقف النبيلة والبطولات التي مازالت تشع متألقة محفورة في جبين الدهر.

وبمرور الزمان وتوالي الأيام تتعرض تلك المراقد عادة إلى التآكل والاندثار، فلا بد من جهة تتبنى عمليات الإعمار وتواكب فعاليات الصيانة فتصلح هنا وتنشئ هناك وهكذا، وهذه الجهة إما أن تكون المحسنين من أبناء المنطقة نفسها، أو ممن يتبرع من تلقاء نفسه كما هو الحال أيام العهد البائد الذي شنّ حرباً لا هوادة فيها ضد المراقد ومن يعمّرها وحتى من يرتادها أو تكون الدولة ممثلة بمؤسسات الوقف والمزارات هي الجهة المبادرة لهذا العمل.

ولكن تبقى هناك مزارات لا تكاد تصلها حملات الإعمار مطلقاً، منها مزار الشهيد زيد بن صوحان العبدي في محافظة البصرة، شهيد العقيدة الذي بذل نفسه الزكية ثمناً للدفاع عن الخط

الإسلامي المحمدي الأصيل المتمثل بخط الإمام علي عليه السلام.

ونحن ننقل من مرقده صورة واضحة عن حالته المثيرة للاستغراب من حيث عدم الاهتمام، وقبل ذلك نعرض لسيرته العطرة كما ذكرتها المصادر التاريخية.

## حياة زيد بن صوحان

لم يذكر المؤرخون تفاصيل كثيرة عن حياة زيد بن صوحان، فلم نعرف والده صوحان العبدي ووضعه العام، كما لا نعرف شيئاً عن محل وتاريخ ولادته وكأن نقطة البداية التي انطلق منها التاريخ في عرض حياته كانت من تنويه النبي باسمه.

أما نسبه فهو زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس بن صبرة بن حدرجان بن عساس بن ليث بن حداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن ربيعة[1].

ولزيد من الأخوة، صعصة وسيحان، وصعصعة كان سيد بني عبد القيس في الكوفة[2].

اشتهر زيد بكنيته المعروفة وهي (أبو سليمان)[3]، ولم يذكر المؤرخون عقباً لزيد سوى ما أورده ابن أبي الحديد عند ترجمة إحدى الشخصيات قائلاً: (جعفر بن محمد الصوحاني، ومن ولد زيد بن صوحان العبدي)[4].

أدرك زيد رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنه لم يصحبه، أي لم يلتقِ به لذا فقد عده جملة من الرجاليين تابعياً،

ولكنه يروي عن الإمام علي عليه السلام، وقد جاء زيد مع الكوفيين عندما وفدوا على عمر بن الخطاب أيام خلافته[٥].

نزل الكوفة بصحبة أخويه وسكنها والظاهر أن سكناهم كانت في محلة بني عبد القيس عند مسجد السهلة واليوم يوجد مسجدان، أحدهما ينسب لصعصعة والآخر ينسب لزيد وفيهما من الأذكار والصلوات والأعمال في الكتب المختصة بالأدعية.

ذكرت المصادر أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان في مسير له إذ هوّم فجعل يقول زيد وما زيد، جندب وما جندب، فسُئل صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال رجلان من أمتي، أما أحدهما فتسبقه يده إلى الجنة ثم يتبعها سائر جسده. . . إلى آخر الحديث)[٦]، وقد أشار صلى الله عليه وآله إلى ما حدث فعلاً فقد قُطعت يد زيد في معركة وتبعها سائر جسده في معركة الجمل.

اختلف المؤرخون أيضاً في تحديد المعركة التي قطعت بها يد زيد فمنهم من قال إنها قطعت في معركة اليرموك[٧]، ومنهم قال قطعت في معركة جلولاء سنة ١٦هـ[٨]، ومنهم من قال في معركة القادسية[٩]، إلا أن الأعم الأغلب حدد معركة نهاوند عام ٢٠هـ[١٠]، أيام خلافة عمر بن الخطاب.

## زيد في كلمات الأعلام

قال عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه: (أما زيد وعبد الله أخوه فإنهما نهران جاريان يصب بهما الخلجان ويغاث بهما اللهفان، رجلا جدٍ لا لعب معه)[١١]، من قول عقيل هذا يتبين أن لزيد أخاً ثالثاً يدعى عبد الله إلا أن المؤرخون وأرباب السير لم يشيروا إليه.

قال صعصعة لأبن عباس، واصفاً أخاه زيد: (كان والله يا بن عباس عظيم المروة، شريف الأخوة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميش[١٢] العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الدهر، ذاكر الله في طرفي النهار، وزلفى من الليل، الجوع والشبع عنده سيان، لا ينافس في الدنيا، وأقل في أصحابه من ينافس فيها، يطيل السكوت ويحفظ الكلام وإن ينطق نطق بمقام من يهرب منه الدعار الأشرار، ويألفه الأحرار الأخيار، فقال ابن عباس: ما ظنك برجل من أهل الجنة، رحم الله زيداً)[١٣].

قال ابن العماد الحنبلي: (من خواص علي الصلحاء الأتقياء)[١٤].

قال اليافعي: (كان من سادة التابعين صواماً قواماً)[١٥].

قال الخطيب البغدادي: (كان يقوم الليل ويصوم النهار وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها)[١٦].

## حادثة استشهاده

التحق زيد وأخواه سيحان وصعصعة بجيش الإمام علي عليه السلام المتوجه إلى البصرة لمواجهة الحركة التي تبناها كل من طلحة بن عبيد الله التيمي والزبير بن العوام، متخذين من الثأر لمقتل عثمان شعاراً وهما بذلك يخرجان على إمام زمانهما الذي بايعاه خليفة لرسول الله يأتمرون بأمره وينتهيان عما ينهى، ولكن الدنيا حليت في عينيهما ووجدا علياً يسير وفق مبدأ العدالة في الحكم بين الرعية فلم يرق ذلك لهما ثم ما برحا أن أخرجا عائشة معهما فكانت واقعة الجمل، الفتنة التي أصابت المسلمين وفتت في عضد الأمة.

كانت راية الإمام علي بيد سيحان،

الأخ الأكبر لزيد وكان خطيباً مصقعاً ولما قتل أخذ الراية زيد وأبلى بلاءً حسناً ثم استشهد على يد عمرو بن يثربي الضبي[١٧] الذي قتل أخاه سيحان من قبل، ولما أثخن بالجراح مشى لمصرعه الإمام علي عليه السلام فقال له (رحمك الله يا زيد كنت خفيف المؤنة عظيم المعونة، فرفع زيد رأسه وقال: وأنت جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، فو الله ما علمتك إلا بالله عليماً، وفي أم الكتاب علياً حكيماً والله في صدرك عظيماً، والله ما قاتلت معك عن جهل، ولكني سمعت حذيفة بن اليمان يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره مخذول من خذله، ألا وإن الحق معه، يتبعه، ألا فميلوا معه)[١٨]، وكان استشهاده في اليوم التاسع عشر من شهر جمادى الأولى، أي بعد تسعة أيام، أو بعد أربعة أيام إذا اعتمدنا على رواية تاريخ ابن خياط كون واقعة الجمل حدثت في النصف من الشهر سنة ٣٦هـ.

ثم قال زيد لمن حوله: (لا تغسلوا عني دماً، ولا تنزعوا عني ثوباً فإني رجل مخاصم أحاج يوم القيامة من قتلني)[١٩].

ولما دفنوا زيداً دفنوا أخاه سيحان معه في قبر واحد ودفنوا معه مصحفه كما أوصى ثم وقف الشاعر مؤبناً شهداء الواقعة قائلاً[٢٠]:

**يا قاتَلَ اللهُ أقواماً هم قتلوا**
**يوم الخريبة علباءاً وحسانا**
**وابن المثنى أصاب السيف مقتله**
**وخير قراءهم زيد بن صوحانا**

## موقع حرب الجمل

ذكرت الروايات أن علياً عليه السلام سار من منطقة تدعى الزاوية، بينما تحرك طلحة والزبير من منطقة تدعى الفرضة، فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد[٢١]، بالخُريبة. والخُريبة محلة من محال البصرة وسميت بالخُريبة لأن المرزبان كان قد ابتنى بها قصراً وخرّب بعده فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عدة أبنية فسموه المنطقة بالخُريبة، وقيل بنيت البصرة إلى جانب مدينة عتيقة من مدن الفرس خرّبها المشى بشنّ المعارك عليها، فلما قدم العرب البصرة سموها الخريبة ونزلها عتبة بن غزوان مؤسس البصرة بأصحابه، وتسمى الخُريبة أيضاً بـ(البصرة الصغرى)[٢٢].

## المرقد اليوم

يقع المرقد في ناحية السيبة، التي تبعد مسافة ٥٥كم جنوبي مدينة البصرة، وتقع شمال قضاء الفاو، وقد أشار الشيخ محمد حرز الدين إلى هذا الموقع محدداً إياه بقوله: (مرقده –أي زيد- في البصرة عليه قبة صغيرة قديمة البناء تشاهد على يمين الذاهب إلى السيبة في قرية (كوت الزين))، ثم يضيف قائلاً: (وقد سألنا بعض البصريين فأجبناهم بأن مرقده لا ريب فيه ولا إشكال)[٢٣].

المتأمل في كلام الشيخ حرز الدين يلاحظ قوة الجزم في تحديد المكان بقوله لا ريب فيه ولا إشكال، ولكنه رحمه الله لم يسعفنا بالدليل أو المصدر الذي اتكأ عليه في تحديد الموقع دون غيره، كما لم يذكر لنا عن تاريخ المرقد شيئاً، ولا عن عمارته ومن أول من بناه أو سعى إلى تعيين مرقده بهذه الكيفية، ولكن يمكن الركون إلى صحة ما ذهب إليه الشيخ فهو محقق في هذا المجال، ولم يدعّ في كتابه أن كل

مـا ذكره من مراقد صحيح النسـبة إلى ما اشـتهرت به عن أصحابها، فهناك العديد مـن المراقد قال عنها إنها مجهولة الحال، أو تحـت التحقيق، وإن أبـدى رأياً فيقول والله أعلم.

كما أيد الرأي القائل بصحة نسبة القبر إلى زيد بن صوحان الخطيب السـيد علي الهاشـمي في أثناء حديثه عن أخيه سيحان قائلا: (لم يعرف قبر لسيحان ولا لغيره من قتلى الطرفين، وفي سنة ١٣٤٣هجـ، صار طريقي من أبي الخصيب إلى الفاو فمررنا على قبة عالية مائلة إلى الانهدام على ربوة بالقرب من ناحية السيبة فقيل لي هذا قبر أحـد قواد جيش علـي عليه السلام، قُتل في واقعة الجمل، ولعله قبر أحد الأخوين إما سيحان وإما زيـد، وقبر زيد أقـرب أن يكون لن بالقرب منه مـكان يقال له الزيادية كما أن فـي ذلك الصقـع ناحية يقال لها سـيحان والله أعلم)[٢٤]، ونلاحظ من كلام السـيد الهاشـمي أنه لم يشـر إلى دفـن الأخوين سـوية بالرغم مـن ورود أكثـر الروايات حول هذا الشأن.

المهم في الأمر إثبات أن الخربة التي دارت عليـه رحى واقعـة الجمل هي ناحية السـيبة الحاليـة التي تضم القـرى التالية سـيحان والمطوعـة وكوت بنـدر وكوت الزين، ولكن بتفحص المنطقة التي يتواجد بها المرقد نلاحظ ما يشير إلى امتداد بين المنطقتين بحسب ما يلي:

نلاحـظ كـون المرقد يقـع في ارض جـرداء خالية من الـزرع والكلأ وهي على هذا الحال من عهود بعيدة فلم تُسـكن ولم تُزرع، بمعنى أنها قابلة لتكون ميداناً للقتال من حيث فسحة المجال خصوصاً للعمليات العسكرية.

نلاحـظ وجـود أحجار قديمـة وبقايا قطع أثرية مكسرة مندثرة هنا وهناك، قد تعود لقصور كانت عامرة إلا أنها خُرّبت.

## وصف المرقد

لم يزدد المرقد في عمارته أو تشـييده شـيئاً على ما ذكره الشـيخ حـرز الدين، وكأن التاريـخ وقـف منـذ عـرض حرز الدين وليومنا هذا، والذي يثير التسـاؤل هـو لماذا هـذا التجاهل وعـدم الاهتمام من قبل البصريين عموماً، وإدارة الوقف وممثلية المزارات بتشـييد هذا المرقد؟، وإذا سـلمنا بـأن الفترة التـي تزامنت مع حكم الطغاة كانت فتـرة لم تلق فيها أغلب المراقد أدنى رعاية واهتمام، فلماذا اليوم بقـي هذا المرقد على حالته البائسـة وهو لرجـل جمع مـن الصفات مـا أهلته ليعد من طليعة أصحـاب الإمام علي عليه السلام؟ نأمل أن تقود أسـئلتنا هذه إلى معرفة السـبب أو تحفيز المحسـنين أصحاب المآثر لمد يـد الخير وتحصيل الأجـر في إعمار هذا المرقد.

عمومـاً يمكـن الوصول إلـى المرقد بواسـطة طريق ترابي متفرع من الشـارع الرئيسـي الذي يربط مدينة أبي الخصيب بالفـاو، وهو عبـارة عن غرفة مسـتطيلة مبنية بالطابـوق، ويظهر تآكله في جدران الغرفة، تبلغ مساحتها حوالي ٣٠متراً مربعاً تقريباً، يطل في وسط واجهة الغرفة، باب حديـدي أخضر اللون يعلوه قطعة خشـبية مصبوغة باللون الأبيض كُتب عليها: (مرقد الصحابي زيد بن صوحان العبدي)، ويتقدم الواجهـة إيوان قوسـي معقـود بالطابوق المتـآكل القديم، تفتح الغرفـة على باحة مفروشـة بحصائر وفرش بالية يتوسـطها

القبر وهو عبـارة عن دكة ترتفع عن الأرض حوالي ربع متر ويبلغ طولها حوالـي ٣. ٥م وعرضهـا ١. ٥م، مغطـاة بسـجاجيد صـلاة، تنتصب فـوق الغرفـة قبة وهي كمـا وصفها حرز الدين تبدو عليهـا آثار القِدَم، يبلـغ قطرهـا حوالـي٥م وارتفاعها ٢. ٥ متـر مبينة بالطابوق ومكسـوة بالجـص الـذي لـم يبق منه سـوى مسـاحات محدودة على وجه القبة ■

(١) الثقفي، الغارات، ٨٩١/٢.
(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٢٣/٦.
(٣) ابن حبان، مشـاهير علمـاء الأمصار، ص١٦٢.
(٤) شرح نهج البلاغة، ١٣١/٨
(٥) المشـهدي، فضل الكوفة ومسـاجدها، ص٥١.
(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٢٣/٦.
(٧) ابن حزم، المحلى، ١٩٦/١١.
(٨)القاضـي المغربـي، شـرح الأخبـار، ٣٧٩/١.
(٩) ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٣٤/٢.
(١٠) ابن شهراشوب، المناقب،٩٥/١.
(١١) الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ١٠١/٧.
(١٢) أي: عزوم ماض بأمره.
(١٣) الأميني، الغدير، ٤٩/٩.
(١٤) شذرات الذهب، ٤٤/١.
(١٥) مرآة الجنان، ٩٩/١.
(١٦) تاريخ بغداد، ٤٣٩/٨.
(١٧) الأمين العاملي، أعيان الشيعة، ١٠٤/٧.
(١٨) السرخسي، المبسوط، ٥٠/٢.
(١٩) المجلسي، بحار الأنوار، ٢١١/٢٣.
(٢٠) البلاذري، أنساب الأشراف، ص٢٤٤.
(٢١) ابن خياط، تاريخ، ص١٣٨.
(٢٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٤٦.
(٢٣) مراقد المعارف،٣١٨/١.
(٢٤) تاريـخ مـن دفـن مـن الصحابـة في العراق، ص٢٧٢.

# شيعة رواندا . .

## بين ركام الفقر وظلمات الجهل

هاشم سعدون •

ينابيع

في زحمة العناوين الإلكترونية للمؤسسات الإسلامية والمراكز الثقافية والدينية في العالم التي حَصَلتُ عليها من مصادر مختلفة، والتي راسلتها باسم القسم الثقافي في مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية لا أدري لماذا كانت تجذبني روحياً تلك العناوين السوداء القابعة على أرض قارة إفريقيا، وكنت أتمنى الاستجابة من أصحابها سريعاً وقبل غيرهم لطلبي الذي مفاده التعرف على حياة الشيعة في دول العالم، ولم أفهم شعوري هذا لحد هذه اللحظة، سبحان الله وكما تمنيت جاء الرد من إخواني العاملين على مؤسسات الشيعة في كثير من دول إفريقيا، وأطلعونا على صور مختلفة من حياتهم الدينية والاجتماعية ونشاطاتهم في دولهم التي تحكمها حكومات على غير ملة الإسلام.

من الشخصيات العاملة في الوسط الشيعي الأفريقي التي استجابت لطلبنا الشيخ باجاروكا حسن سيف (أبو علي) مدير مؤسسة أهل البيت الإسلامية في دولة رواندا الأفريقية، والذي تواصلتُ معه عبر البريد الالكتروني وجهاز الهاتف، رافداً إياي بمعلومات حديثة عن واقع الشيعة في رواندا بالإضافة إلى مجموعة من الصور الفوتوغرافية الحديثة، تكاملتْ هذه المعلومات مع ما حصلتُ عليه من بعض المصادر الجغرافية والتاريخية المهتمة بقارة أفريقيا، لنقدم سوية هذا التحقيق المتواضع والمختصر بين يدي رب الجلالة ليجزينا به جميعاً خيراً، إنه جواد كريم.

قبل قراءة بعض التفاصيل عن الحياة

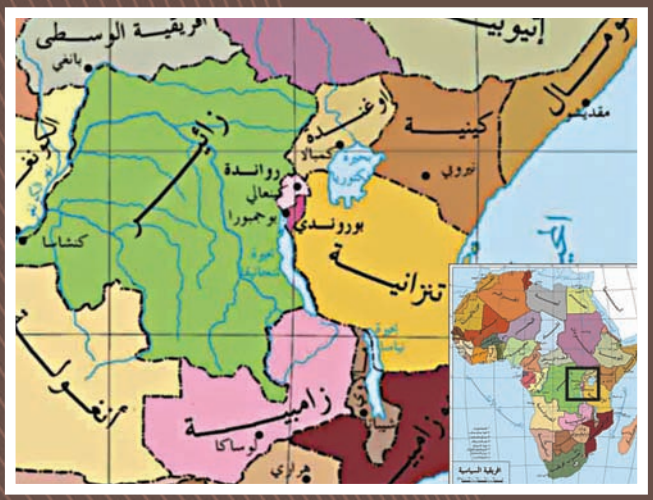

الشيعية في رواندا، علينا أن نتعرف إلى بعض ملامح وهوية هذا البلد الذي يسمى بلد الألف تل.

تقع دولة غانا في وسط القارة الأفريقية إلى الجنوب من خط الاستواء، ضمن نطاق هضبة البحيرات، تحدها تنزانيا من الشرق، وبورندي من الجنوب، والكونغو الديمقراطية من الغرب، وأوغندا من الشمال، وليس لرواندا أي سواحل على البحر فهي تعتبر دولة داخلية، ولكن لها اتصال بالعالم الخارجي عن طريق البحر بواسطة موانئ جاراتها من الدول، مثل ميناء دار السلام في تنزانيا.

تبلغ مساحة دولة رواندا (٢٦. ٣٣٨ كم) وهي من البلدان الأفريقية المزدحمة بالسكان إذ يبلغ تعدادها (١١مليون نسمة)، عاصمتها مدينة كيجالي تقع في وسط البلاد وسكانها حوالي (٢٥٠. ٠٠٠ نسمة)، وأهم المدن في رواندا هي بوتاري وروانجيري وكيبيونجو وجيسيني.

بالرغم من قرب رواندا من خط الاستواء، إلا أنها وبسبب ارتفاع سطحها تتميز بمناخ معتدل الحرارة، فمعدل درجة حرارة العاصمة كيجالي هو ١٩ درجة مئوية، وتشتهر رواندا بالتضاريس الجميلة حيث المرتفعات المعشوشبة والمناظر الطبيعية الخلابة، والتلال البديعة، ووفرة الحياة البرية، بما في ذلك حيوانات الغوريلا الجبلية النادرة التي تحظى بشعبية لدى عشاق البيئة، وتعتبر السياحة أحد أكبر القطاعات في

اقتصاد البلد.

التنوع الديموغرافي في رواندا ليس بالمتشابك، فهو يتمثل بقبائل (الهوتو) ٨٠٪ من السكان وقبائل (التوتسي) ١٠٪، وباقي السكان من جماعات (التوا) ومن الأقزام وأقلية مهاجرة من العرب والهنود والباكستان.

حصلت رواندا على استقلالها في سنة (١٣٨٢ هـ -١٩٦٢ م)، حيث كانت جزءاً من مستعمرة (شرقي أفريقيا الألمانية) قرابة عشرين عامًا مثل جارتها بورندي، ثم وضعتها الأمم المتحدة تحت الانتداب البلجيكي بعد الحرب العالمية الأولى، وظلت تحت أيديهم أربعين سنة، والاستعمار البلجيكي هو أحطّ أنواع الاستعمار، إذ عمل على تمزيق البلاد وتركها خرابًا، فلطالما أوقد نار الفتنة بين قبائل الهوتو الأغلبية وقبائل التوتسي الأقلية، راح ضحيتها مئات الآلاف من الطرفين، ولم ينته هذا الصراع إلا بعد العام ١٩٩٤م.

أما اللغة الرسمية لرواندا فهي لغة الكينا روندا، بالإضافة إلى الفرنسية واللغة السواحلية التي يتحدث بها المسلمون.

وصل الإسلام إلى رواندا عن طريق التجار العرب وخاصة من هاجر من شرق أفريقيا وبالتحديد تنزانيا واستقروا فيها، وتشير بعض الإحصائيات المعاصرة إلى أن الهجرة الأولى للمسلمين العرب تمت ما بين عام ١٨٩٥ م و١٩٠٠ م، وكان أول الواصلين إلى أرض رواندا هم من أصول خليجية وبالذات من سلطنة عُمان واليمن.

وكان الجيل الأول من المهاجرين غالبيتهم من المسنين الذين استقروا في رواندا وتزوج معظمهم من نساء البلد، ثم جاء الجيل الثاني الذي ورث أبناؤه المال والسمعة لكنه لم يرث الدين لأن الدين لم يكن همهم بل كانت التجارة هي هدفهم الأول والأخير، فابتعد الكثير منهم عن دينه ولغته الأم العربية فصاروا يتكلمون اللغة الرواندية، ومع كل هذا الابتعاد عن الإسلام فقد أسلم معهم من الروانديين ممن كانوا يعملون في محلاتهم التجارية أو ممن يخدم في بيوتهم.

وحسب الإحصائيات الحديثة لعام ٢٠٠٩ م فإن عدد المسلمين في رواندا يبلغ قرابة ٣٢.١ مليون مسلم يعني ١٢٪ من مجموع السكان البالغ عددهم (١١ مليون) نسمة ومعظمهم من سكان البلد الأصليين بنسبة ٩٩٪ والنسبة الباقية هم من العرب والهنود والباكستان.

يعيش ٦٠٪ من المسلمين في العاصمة كيجالي، أما البقية فيعيشون في مختلف مناطق رواندا، وهم يمتهنون الكثير من المهن الصناعية والتجارية البسيطة ويمتلكون المراكز التجارية ومحلات التسوق المهمة، وهي تقريباً منحصرة في بعض الأفارقة والهنود والجيل الثالث من المهاجرين العرب، أما بقية المسلمين وخاصة من سكان البلد الأصليين فهم يزاولون أعمال بسيطة مجملها في الخدمات العامة ذات الأجر الذي يجعل أكثر المسلمين في رواندا يعيشون تحت خط الفقر بمعدل دولار واحد باليوم.

بني أول مسجد في رواندا عام ١٩٠١ في مدينة نيانزا على بعد ٧٠ كم عن العاصمة، ويقول البعض إن أول مسجد بني في رواندا هو مسجد المدينة في قلب العاصمة كيجالي وكان ذلك عام ١٩٠٣م.

في العقدين الأخيرين نشأ في رواندا جيل من المتعلمين والمثقفين المسلمين بعد دخولهم المدارس والمعاهد والجامعات وحصولهم على الشهادات التي تأهلهم للدخول في النشاطات التجارية والسياسية والمساهمة في بناء مرافق الدولة والمشاركة في جميع مجالات الحياة، وهناك عشرات المسلمين يشغلون مناصب كبيرة في الدولة مثل:

الشيخ موسى فاضل وزير أمن الدولة، والشيخ عبد الكريم هاريريمان ممثل رواندا في برلمان مجلس دول شرق أفريقيا، وحميد عمر وعباس موكاما والسيدة سيدات أعضاء في مجلس البرلمان الوطني، والأخت فاطمة هاريريمانا نائبة رئيس لجنة الانتخابات الوطنية، وغيرهم من الأطباء والأساتذة في المجتمع الرواندي.

الإسلام في رواندا يعد الديانة الثانية بعد المسيحية الكاثوليكية، وقد اعترف به رسميا في رواندا عام ١٩٦٤ م على أساس المذهب الشافعي، وقد أسست أول جمعية إسلامية في رواندا عام ١٩٦٤ م باسم (جمعية مسلمي رواندا) بعد أن نالت هذه البلاد استقلالها من بلجيكا عام ١٩٦٢، ومنذ ذلك الحين استطاع المسلمون في رواندا أن يحصلوا على الكثير من المكاسب القانونية والدستورية في البلد.

أما نور محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين فقد مس قلوب الروانديين بعد عام ١٩٩٢م عن طريقين من التبليغ هما: أبناء رواندا الذين كانوا يعيشون في دول مجاورة مع آبائهم كلاجئين منذ عام ١٩٥٩ م بسبب سياسة التفرقة والحرب الأهلية التي فعلت فعلها في حياة الكثير من سكان رواندا، وخاصة من قبائل التوتسي الذين هاجر الكثير منهم إلى الدول المجاورة مثل تنزانيا ودول شمال أفريقيا هرباً من الموت، ورب ضارة نافعة حتى في حياة الشعوب، إذ فتح الله باب رحمته ورضوانه في دار الهجرة للكثير من هؤلاء، فاستبصر العديد من أبناء المهاجرين في الدول التي عاشوا فيها مع الشيعة الذين ينشرون فكر أهل البيت عليهم السلام أينما كانوا، فحدث التلاقح في العقيدة ومن ثم الاستبصار والتمسك بحبل الله المتين، عقيدة العترة الطاهرة لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وعندما عاد المهاجرون إلى رواندا بعد استتباب الأمن وتوقف القتال في الحرب الأهلية بعد عام ١٩٩٤م، صار هؤلاء النواة الثانية لنشر راية المذهب الإمامي في رواندا، بالإضافة إلى النواة الأولى المتمثلة بقسم التبليغ في البعثة الدبلوماسية الإيرانية في كيجالي بإدارة الشيخ حسن مهاجر شريف الذي كان له دور ريادي في التبليغ والتدريس في تسعينيات القرن الماضي، ولكن هذا الحال لم يستمر فقد عاد هذا الشيخ إلى بلده إيران خوفاً على نفسه وأهله من التعرض للاعتداء من قبل الهاتو أو من المتعصبين من السلفيين في رواندا الذين ينصبون العداء لشيعة أهل البيت عليهم السلام.

يعد مذهب الشيعة الإمامية الثاني بعد المذهب السني في رواندا، وقد انتشر هذا الفكر المبارك في مناطق مختلفة من البلاد منها منطقة روهنغيري في الشمال ومنطقة نيانغي في الغرب ومنطقة غيتراما في الجنوب، بالإضافة إلى العاصمة

كيجالي، ويبلغ عدد الشيعة أكثر من ١٥٠٠ شيعي وعددهم يزداد كل يوم ببركة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الكرام ولا سيما الإمام صاحب العصر والزمان الحجة المنتظر عليه السلام رغم كثرة الأعداء والصعاب.

يعيش الشيعة في رواندا بحال لا يحسدون عليه من حيث الإمكانات المادية والمعنوية لتفعيل نشاطاتهم الدينية والتبليغية، فيوضح ذلك الشيخ باجاروكا حسن سيف بقوله: كنا في السابق على الأقل لا نجد من يعيننا في أمر التبليغ والتدريس، وكنا بلا مسجد ولا مال، ولكن مع هذه الظروف الصعبة لم نيأس من التواصل في المسيرة، وكانت محاولاتنا بسيطة، حيث كنا نجتمع في البيوت الشيعية متنقلين فيما بينها نتعرض لبعض الأطروحات العقائدية بصورة بسيطة يسهل فهمها من قبل الشيعة وخاصة الجدد، وكنا نعاني من ترجمة القرآن والمفاهيم الإسلامية من اللغة العربية إلى اللغة الرواندية، وكان يتخلل جلساتنا قراءة الأدعية المشهورة مثل دعاء كميل والتوسل وخاصة في ليلة الجمعة المباركة والمناسبات الخاصة بأهل البيت عليهم السلام.

ومن نشاطات الشيعة المحلية التحاور غير المنتظم مع الوهابيين خاصة، وذلك أثناء اللقاءات الرسمية، أو مراسيم تشييع ميت ودفنه، أو حفلات الأعياد والأعراس التي يدعى لها من الطرفين، فيستغل بعض الشيعة ممن يمتلكون إمكانية الدعوة للمذهب الحق هذه المناسبات لطرح مفاهيم الخلاف والاتفاق بين المذاهب الإسلامية وفرص التقارب بينهم، ولطالما استبصر الكثير من الوهابية والشافعية وأصبحوا ببركة محمد وآل محمد صلوات الله عليهم من سواد الشيعة الإمامية.

علمت من الشيخ حسن سيف أن أول مسجد شيعي (حسينية صاحب الزمان عليه السلام) في رواندا بناه هو وجماعته وكان من الطين وصفائح المعدن القديمة (كما هو واضح في أحد الصور)، ومن هذا المسجد الصغير رفعت الشهادة الثالثة في الأذان بمكبر الصوت رغم وجود جامع وهابي على بعد ٤٠ متراً فقط منه.

أما المؤسسات الشيعية فقد فهمت من الشيخ باجاروكا حسن سيف أن نشاطات المؤسسات الشيعية في رواندا تتمثل في مهام كثيرة منها:

* نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام عن طريق الدعوة والتبليغ وبصورة صحيحة.
* طباعة وترجمة الكتب الدينية التي من شأنها أن تساعد على نشر تعاليم علوم أهل البيت عليهم السلام.
* توزيع الصدقات على الفقراء والأسر المتعففة، كفالة الأيتام وطلبة العلم.
* تزويج الشباب والشابات المستحقين للزواج ممن لم يتيسر لهم ذلك بسبب الفاقة والعوز.
* إقامة المجالس الحسينية وخاصة في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم الحرام.
* إحياء المناسبات الشيعية كالولادات والوفيات للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام.
* إقامة احتفالات دينية، وإحياء ليالي شهر رمضان المبارك وتوزيع المواد الغذائية الجافة لبرنامجها التبليغي (برنامج إفطار صائم) وإعداد وجبة إفطار كاملة في المساجد والحسينيات حسب الإمكانيات المتوفرة.

* توزيع الملابس المستعملة للمستبصرين الجدد وتكفل معيشتهم مؤقتاً، وبالأخص الذين يطردون من أسرهم بسبب استبصارهم أو اعتناقهم الإسلام، وغير ذلك من النشاطات التي ما كانت ولا تكون لولا بركة محمد وآل محمد صلوات الله عليهم وأصحاب الأيادي البيض من المتبرعين جزاهم الله خير الجزاء.

من هذه المؤسسات الشيعية العاملة في رواندا:

١- مؤسسة أهل البيت الإسلامية : تأسست عام ١٩٩٨ تعمل في مجال الدعوة والتبليغ والأعمال الخيرية، تدير شؤون مسجد الإمام علي عليه السلام ومصلى سيد الشهداء عليه السلام ومصلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف و مسؤولة عن الشيعة أمام الدولة ومسجلة في وزارة الداخلية تحت رقم ٢٠١٠/٩٢، وهذه المؤسسة مستقلة ولها حق التملك والتصرف وتتمتع باستقلال إداري.

من أعضائها: الشيخ باجاروكا حسن سيف (رئيساً) والحاج روجو غيرو أبو بكر (نائب رئيس) والشيخ يوسف مجالوى أمين الصندوق (مبلغ) والسيدة سفينة بانكوندية مسؤولة عن لجنة السيدة زينب عليها السلام وغيرهم.

٢- مجمع أهل البيت عليهم السلام : وهو مجلس يمثل الجمعيات الإسلامية الشيعية، أنشأ في كيجالي العاصمة عام ٢٠٠٧ م هدفه تنظيم شؤون المبلغين البالغ عددهم تقريباً

٢٠مبلغ، وتوزيع الكتب والنشرات الثقافية.

٣- جمعية الشيعة الإثني عشرية: أسست عام ٢٠٠٢ يرأسها الشيخ شافي خميس، تشرف على أعمال مصلى الإمام الصادق عليه السلام، وتنظيم برنامج تعليم أولاد الشيعة في أيام السبت والأحد وإحياء ليالي الأربعاء والجمعة بقراءة دعاء كميل.

٤- مكتبة العترة الطاهرة: وتقوم هذه المكتبة ببيع وتوزيع الكتب الدينية الإسلامية وأقراص (الـCD) وهي برئاسة الشيخ هارون شيكالي، علماً أن هذه المكتبة أغلقت أبوابها بسبب هجوم من بعض الجماعات عليها وعلى مسجد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ومصلى الإمام الصادق عليه السلام وسرقتهم كل شيء في هذه الأماكن، وقد اضطر الشيخ هارون شيكالي أن يواصل أعماله في بيته وكان ذلك في السنة الماضية.

باختصار هذه هي المؤسسات الإسلامية الشيعية العاملة في ساحة الدعوة والتبليغ في رواندا، وهي قليلة وضعيفة مقارنة بحال الآخرين (ونقصد السلفية الوهابية)، والجدول أدناه يوضح شيئاً من هذه الحقيقة:

في آخر المطاف سأترك كلمات الشيخ حسن سيف العفوية التي قالها لي عبر جهاز الهاتف، ليقرأها القارئ العزيز كما هي دون إعادة صياغة حتى لو أخلت بمعايير التعبير والبلاغة لكي يستشعر من يقرؤها بأنفاس هذا الشيعي المضطربة، وحسرته وقلة حيلته، حيث قال لي الشيخ باجاروكا:

(أخي العزيز، لا يوجد أية جهة شيعية خارجية تهتم بوضع الشيعة وتطور حياتهم الاجتماعية والثقافية، وضع الشيعة في رواندا مؤلم ومؤسف جداً لا يملكون شيئاً كما مبين أعلاه وعددهم أكثر من١٥٠٠، وعددهم يزداد يوماً بعد يوم أين نضعهم؟ ولدينا حسينية صاحب الزمان عليه السلام وهي أصغر حسينية في التاريخ الشيعي الحديث، عبارة عن غرفة صغيرة مساحتها ٥.٢م×٣٠.٣م، بابها مفتوح للمصلين أيضا وتقام فيها بعض المناسبات الشيعية ويقرأ فيها دعاء كميل والتوسل، وقد فتحنا هذه الحسينية لإثبات وجود الشيعة في المنطقة لأنها تبعد ٤٠ متراً فقط عن أكبر مسجد وهابي وهو مسجد الهدايا.

أخي العزيز، أرض رواندا صالحة للدعوة والتبليغ إذا وجدت الإمكانية والدعم الفكري والمادي من أهل الخبرة والمعرفة لأنه بدون الدعم الفكري والمادي والتوجيهات السديدة من ذوي الخبرة من خارج رواندا لن نصل إلى الهدف ولن نحقق أي تقدم أبدا وسنبقى

| المذهب | المساجد | المراكز | المصليات | المدارس الابتدائية | المدارس الثانوية | الكتاتيب | المؤسسات الإسلامية | المشايخ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الشيعة | ١ | ٠ | ٤ | ٠ | ٠ | ٤ | ٤ | ٦ |
| السنة | ١٠٢ | ١ | ٠ | ١١ | ٨ | ٣٠ | ١٢ | أكثر من ٢٧ |

إلى الوراء دائماً، لا يوجد في رواندا أي عقبة لنشر مذهب الحق وهو مذهب أهل البيت الأطهار عليهم السلام، ولا يوجد أي مشكلة بين الشيعة والحكومة، فلهما علاقة جيدة جداً، والدولة تعطي للأديان حرية تامة لنشر معتقداتها مقابل عدم التدخل في شؤون سياسة الدولة، ونحن نتعايش مع المذاهب الأخرى بشكل سلمي، نشاركهم في أفراحهم وأحزانهم والعكس هو الصحيح فهم لا يشاركوننا في أي شيء بل يكرهوننا كرهاً شديداً و يشتموننا ويكفروننا ليلاً ونهاراً على منابرهم ومن إذاعتهم، ونحن نحاول أن نرد عليهم بالمثل ولكن على نطاق ضئيل جدا لأننا لا نملك إلا مكبر صوت واحداً ومسجداً واحداً من بين ١٠٢ مسجد سني، وهم يملكون عدة وسائل لأنهم متمكنون بذلك مادياً وبشرياً وعلمياً، ولكن الشيعة كالأيتام يحتاجون من يعتني بهم فكرياً ومادياً، لكي يخرجون من عزلتهم في العالم الإسلامي ومن ينشطهم في حركة التبليغ لنشر الإسلام الأصيل إن شاء الله تعالى.

وأخيراً (وما زال الكلام للشيخ باجاروكا)، لابد من توجيه النداء إلى كافة من يعزهم عزة الإسلام ويعنيهم شؤون الدعوة والتبليغ والمؤسسات الإسلامية الخيرية المختصة، من أجل الدعم الضروري والمساعدات المعنوية والمادية لإخوانهم في رواندا بإنشاء الحوزات والمدارس الأكاديمية وتقديم منح دراسية للشباب الشيعة، وإرسال الكتب الإسلامية والعقائدية والفقهية وتفسير القرآن الكريم وغيرها من الكتب القيمة للنهوض بمستواهم الثقافي والاجتماعي والصحي أسوة بما تفعله وتقدمه الفرق والمذاهب الأخرى من المساعدات للمنتمين إليها، والله على ما أقول شهيد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هكذا انتهى كلامي مع الشيخ أبي علي وقد وعدته أن نرسل إليهم ما تجود به يد الفقير من كتب مختلفة الموارد، لعلها تسد ثغراً مفغوراً وظمأً شديداً وجهلاً رابضاً في حجور وقلوب ملّت عبادة الكواكب والنجوم والأساطير وتاقت لمعرفة الدين الحق القويم، دين الله ورسوله الأكرم محمد وآله الأطهار صلوات الله عليهم، وبفضل الله وبعد شهرين من الزمن اتصل بي الشيخ باجاروكا من رواندا وأخبرني بوصول مجموعة الكتب وشكر المؤسسة على هذه المبادرة الطيبة ودعا كثيراً لسماحة المرجع الكبير سيدنا الحكيم، وفجأة خنس صوت الشيخ أبي علي وظننت أني فقدت الاتصال، لكنه عاود الكلام وقد خنقته العبرة وتكسر صوته من النشيج وبالكاد سمعته يقول: يا أخي بودي أن أزور سيدي ومولاي أبا عبد الله الحسين عليه السلام ولكن... فبادرته بالجواب بعد لحظات من التأمل: يفعل الله ما يريد أخي العزيز إن الله جواد كريم ■

---


المصادر

١ - Siuberski، Philippe

٢ - UN Habitat

٣ - Africa Recovery

# المصادر المبكرة

## لدراسة بنود وثيقة المدينة

د. محمد جواد فخر الدين •
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

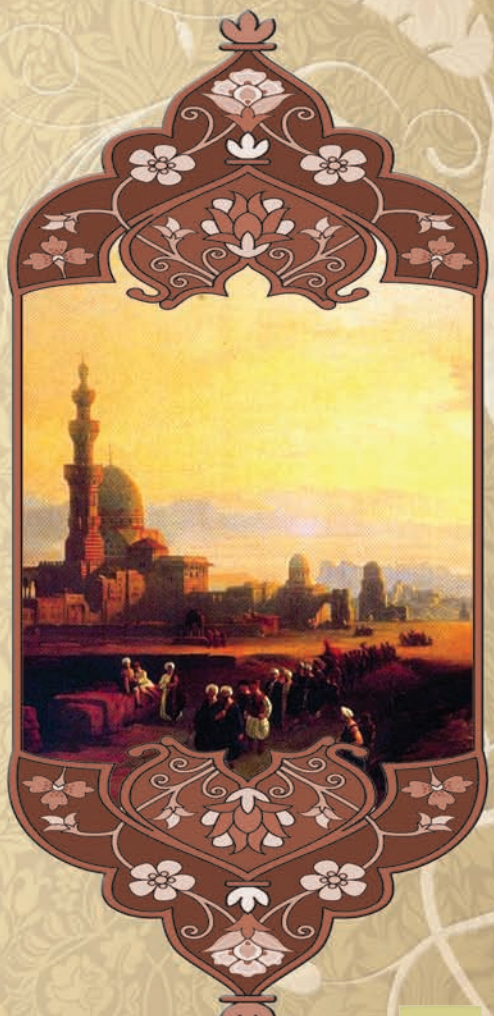

ينابيع

اهتم كثير من الباحثين على مختلف مشاربهم الفكرية بدراسة وثيقة المدينة من نواحي متعددة طبقاً لما تضمنته هذه الوثيقة من نصوص شملت مختلف نواحي الحياة، إذ يمكن اعتبارها أول عقد اجتماعي في تاريخ البشرية، وتعد تجربة رائدة لمجتمع تتعدد فيها الانتماءات القبلية والدينية، إذ لم تكن مؤلّفة من المسلمين فقط، فقد كان فيها اليهود الذين استقروا فيها منذ زمن بعيد، وكان هنالك العرب الذين لم يدخلوا في الإسلام.

لذا كان أمام رسول اللهﷺ مهمة في غاية الدقة في اللحظات الأولى منذ نزوله إلى المدينة وهي التأليف بين هذه القطاعات الاجتماعية وتأمين عَيشها معاً دون مشاكل. ويكون الرابط بينها بالدرجة الأساس الانتماء للوطن والأرض المشتركة وتنميتها والدفاع عنها، وكذلك الالتزام بالتسامح الديني والعون الإنساني العام، والمساواة القائمة

على العلاقات والقواعد العامة، والنظرة إلى المواطنين على أنهم بشر مكرمون مهما كان دينهم وانتماؤهم[1]، وتوضح الآية الكريمة هذه القاعدة أيضا، بقوله تعالى: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)**[2].

على أن معظم هذه الدراسات انصبت من ناحية الشكل والمضمون على معالجة النواحي المتعلقة بالشؤون الاجتماعية والقانونية التي وضعت أسس التعامل بين الأفراد المرتبطين أصلا بهذه الوثيقة، وكانت جلها قد اتخذت هذا المسلك البحثي في قراءة بنود هذه الوثيقة دون التحقق من تاريخ عقدها أو النظر إلى النصوص الواردة فيها بصورة فاحصة، مع العلم أن تدوين كتب الحديث والسيرة النبوية ظل مرهوناً إلى ما بعد وفاة النبي ﷺ بمائة عام أو أكثر، وذلك في ظروف المنازعات السياسية والتي كان اختلاق الروايات والأحاديث بعض وسائلها إلى الذيوع والغلب[3]، وكان شيوع الأحاديث الموضوعة بكثرة راعت المسلمين، إذ ذاك يقول هيكل: (قام الجامعون بجمع الأحاديث، وتولى كتاب السيرة كتابتها، فقد عاش الواقدي وابن هشام والمدائني وكتبوا كتبهم أيام المأمون، وما كان لهم ولا لغيرهم أن ينازعوا الخليفة في آرائه مخافة ما يحل به، ولذلك لم يطبقوا، بما يجب من الدقة هذا المقياس الذي روي عن النبي ﷺ من وجوب عرض ما يروى عنه على القرآن، فما وافق القرآن فمن

الرسول ﷺ، وما خالف القرآن فليس منه)[٤].

بل أكثر من هذا وذاك أن أكثر كتب السيرة أضاف إلى حياة النبي ﷺ ما لا يصدقه العقل، ولا حاجة له في ثبوت الرسالة، بل دس فيها خرافات لا يسيغها العقل، ولا يقبلها الذوق[٥]، لذا لابد من قراءة معاصرة متفحصة لنصوص هذه الوثيقة بما تضمنته من محاور قانونية وسياسية ودستورية، لكونها تعد أول عقد اجتماعي غير مسبوق حتى عدها كايبرلي أقدم نموذج موثوق للنثر العربي بعد القرآن الكريم[٦].

والملاحظ كذلك ان سيرة ابن هشام غير سيرة ابن إسحاق ولا يمكن الاعتماد عليها كلياً، وذلك لكون ابن هشام أعاد صياغة سيرة ابن إسحاق وأضاف إليها وحذف منها[٧]، مما أضر بسيرة ابن إسحاق. ويشير الدكتور العمري إلى هذا المضمون بقوله: (وهناك اتجاه خاطئ عند بعض المستشرقين تابعهم فيه بعض مؤرخينا يعلي من شأن مغازي الواقدي ويقدمها على سيرة ابن إسحاق، والحق أن سيرة ابن إسحاق أدق وأوثق وتتطابق معلوماتها مع معلومات كتب الحديث في كثير من الجوانب)[٨].

ونظراً إلى أهمية هذه الوثيقة التاريخية في التاريخ الإسلامي وتاريخ الفكر السياسي والقانوني عند المسلمين بشكل عام، نورد بعض بنودها كما ذكرته المصادر المتقدمة كابن هشام[٩]، ومحمد حميد الله الحيدرآبادي[١٠]، وبالصيغة والترتيب التي وضعهما في كتابه:

١ـ هذا كتاب من محمد النبي [رسول الله]، بين المؤمنين والمسلمين من قريش و[أهل] يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

٢ـ أنهم أمّة واحدة مِن دون الناس.

٣ـ المهاجرون من قريش على رَبعتهم[١١] يتعاقلون[١٢] بينهم وهم يَفدُون عانِيَهم[١٣] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٣ـ وأن المؤمنين المتقين [أيديهم] على [كل] مَن بغى منهم، أو ابتغى دَسيعةَ[١٤] ظلم، أو إثمًا، أو عدوانًا، أو فسادًا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعًا، ولو كان ولدَ أحدهم.

١٤ـ ولا يَقْتُل مؤمنٌ مؤمنًا في كافر ولا ينصر كافرًا على مؤمن.

١٥ـ وأنّ ذمّة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس[١٥].

١٦ـ وأنّه مَن تبعنا من يهود فإنّ له النصرَ والأسوةَ غير مظلومين ولا مُتناصرين عليهم.

٢٣ـ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنّ مردَّه إلى الله وإلى محمد.

٢٤ـ وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا مُحاربين[١٦].

٣٧ـ وأنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأنّ بينهم النصر على مَن حاربَ أهل هذه الصحيفة، وأنّ بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم. ٣٧/ب. وأنه لم يأثم امرؤٌ بحليفه، وأنّ النصر للمظلوم.

٤٢ـ وأنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة مِن حَدث أو اشتجار يُخاف فسادُه، فإنّ مَرَدَّه إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبَرِّه.

٤٧ـ وأنه لا يحول هذا الكتابُ دون ظالمٍ أو آثم، وأنه مَن خرجَ آمِنٌ ومن قعد

آمِنٌ بالمدينة، إلا مَن ظلم وأثم، وأنّ الله جارٌ لمن بَرَّ واتّقى ومحمد رسول الله.

أطلق على الكتاب الذي كتبه الرسولﷺ الصحيفة أو الدستور[١٧]، هذه البنود السبعة والأربعون من الوثيقة أوردتها مصادر متعددة وذلك لما لها من أهمية كبيرة، ليس لكونها أول وثيقة دستورية تسجل في ذلك الوقت، وإنما لأنها تدون تاريخ الإسلام المبكر وخاصة مع المظاهر الأولى لتشكيل دولة الإسلام إذ كانت يثرب - المدينة - المعقل الأول لتنامي دعوة الإسلام، بل المنطلق الذي أسهم إلى حد كبير في نشر الدعوة الإسلامية ووضع أسس الدولة القادرة على مواجهة الأخطار. إذن لم يكن اختيار يثرب من قبل الرسولﷺ ناتجاً عن فراغ أو عدم دراية بالأهمية التي تكتنفها هذه المنطقة، بل على العكس من ذلك كانت خطوه مدروسة كان لها تأثيرها الإيجابي على المسلمين في ما بعد، وقد أثمرت ثمارها في ما بعد، وعلى الرغم مما كانت تمثل مكة من إرث اجتماعي للرسولﷺ لكنه فضل البقاء في المدينة التي احتضنته واحتضنت المسلمين ودعوته، لا لكونها كانت منطلقاً لدعوته فحسب بل لأنه أراد أن يمنحها خصوصية لا تقل فيها شأنا عن مكة المكرمة وخاصة في ما يتعلق بالتراث العقيدي للإسلام.

وقد أكدت الوثيقة على جملة أمور ومفاهيم كانت الأساس في ما بعد للتعايش بين مختلف فئات المجتمع المدني، فالوثيقة دستور الدولة الإسلامية الأولى، تؤكد[١٨]:

**أولاً**: تنوع المجتمع وتعدد فئاته.

**ثانياً**: توحد كدولة سياسية بقيادة الرسولﷺ.

**ثالثاً**: اعترافه بحرية المعتقد والممارسة للمجتمعات الدينية المختلفة.

**رابعاً**: انصهار المجتمع القبلي في المدينة في بوتقة الإسلام، ويكون المرجع الأول والأساس لكل الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

**خامساً**: اعتبار اليهود جزءاً من المجتمع السياسي ومشاركته في الحرب والسلم مع المجتمع المسلم.

ولابد من القول إن المستشرق الألماني (ولهاوسن- Wellhausen) أول من عرّف هذه الوثيقة وقدمها للأوساط الأكاديمية. وكذلك الأستاذ محمد حميد اللهﷺ وإلى بحوثه الواسعة في اشتهار هذه الوثيقة في العالم الإسلامي، وقد قام (ولهاوسن) بتجزئة المتن الأصلي الذي أورده ابن هشام وأبو عبَيد إلى ٤٧ بنداً[١٩]، ثم قام حميد الله بتجزئة بعض هذه الفقرات فيما بينها فبلغ هذا الرقم ٥٢ بنداً[٢٠]. ولا ننسى ذكر الأحمدي الميجاني في كتابه مكاتيب الرسول، إذ كانت هذه الدراسات الثلاث رائدة في هذا الحقل ولها السبق في تناول هذا الموضوع بجميع محاوره.

على أنه أول من دوّن هذه الوثيقة هو محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) ولكنه أوردها دون إسناد. وقد صرّح بنقلها عنه ابن هشام (ت ٢١٨هـ) بقوله: (قال ابن إسحاق: وكتب رسول اللهﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار)[٢١].

ومن المؤلفين الذين ذكروا الوثيقة ابن سيد الناس (٧٣٤هـ)[٢٢] وذكر بعد إيراده نص الوثيقة أن ابن أبي خيثمة أورد الكتاب فأسنده بهذا الإسناد[٢٣]. ومن المحتمل أن الوثيقة وردت في القسم المفقود من

تاريخ ابن أبي خيثمة إذ لا وجود لها في ما وصل إلينا منه.

ومن المؤرخين الذين دونوا بنود هذه الوثيقة كاملة كما أوردها ابن هشام المؤرخ ابن كثير (٧٧٤هـ)[٢٤]، لكن وردت عنده دون إسناد أيضاً.

وقد ذكر البيهقي (٤٥٨هـ) هذه الوثيقة عن ابن اسحق، لكنه أورد الجزء المتعلق بالعلاقات بين المهاجرين والأنصار، بينما أهمل ذكر البنود التي تتعلق بعلاقة المسلمين مع اليهود[٢٥].

وكذلك ذكرها العلامة الزمخشري (٥٨٣هـ) الذي دوّن كثيراً من بنود هذه الوثيقة كما أوردها ابن هشام، إذ ذكر الجزء المتعلق بين المهاجرين والأنصار من ناحية، وكذلك ما بين المسلمين واليهود من جهة أخرى بقوله: (كتب بين قريش والأنصار كتاباً. وفي الكتاب: أنهم أمة واحدة دون الناس. المهاجرون من قريش على رباعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى. . .)[٢٦]، ووردت كذلك عنده دون إسناد أيضاً.

ومن المصادر المهمة كذلك التي ذكرت الوثيقة أبو عبيد (ت٢٢٤هـ)، لكن أوردها بسند آخر يختلف عما ذكره السابقون برواية مسندة تعود إلى الزهري[٢٧]، ولم يقف بذكر بنود الوثيقة فحسب بل ألحقها بتفسير بعض العبارات الواردة فيها[٢٨].

كما وردت الوثيقة في كتاب الأموال لابن زنجويه من طريق الزهري أيضاً[٢٩]، ومن المحتمل أنه أخذها من أبي عبيد دون الإشارة إليه.

وأشار العلامة ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) إلى هذه الوثيقة وطبيعة البنود المتعلقة بين مختلف الأطراف التي شملتهم نصوصها إذ يقول: (واستوعب الإسلام سائر الأوس والخزرج وسموا الأنصار يومئذ بما نصروا من دينه، وخطبهم النبي ﷺ وذكرهم وكتب بين المهاجرين والأنصار كتاباً وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم كما يفيده كتاب ابن إسحاق فلينظر هنا لك)[٣٠].

وهناك مصادر أخرى ذكرت الوثيقة دون الخوض في إيراد بنودها كاملة، ولكنها اكتفت بالإشارة إلى هذه الوثيقة ضمنا مثل ابن شبة (ت٢٦٢هـ)، والبلاذري (ت٢٧٩هـ).

بينما ذكرت مصادر أخرى موادعة الرسول ﷺ لليهود مثل: الطبري (ت ٣١٠هـ)[٣١]، والمقريزي (ت ٨٤٥ هـ)[٣٢]، والحلبي (ت ١٠٤٤ هـ)[٣٣].

ولم تنفرد هذه المصادر بتضمين بعض بنود هذه الوثيقة فحسب، بل نلاحظ مصادر الحديث دونت كثيراً من فقراتها، ويمكن أن نقف على مجموعة منها مثل أبي داود (ت ٢٧٥هـ)[٣٤]، والطبراني (ت٣٦٠ هـ)[٣٥] فقد ذكروا رواية واحدة ما نصه: (فدعاهم رسول الله ﷺ أن يكتب بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة فيها جامع أمر الناس فكتبها رسول الله ﷺ).

ونقل ابن حنبل (ت ٢٤١هـ)[٣٦]، والنسائي (ت ٣٠٣هـ)[٣٧] فقرات قد تتطابق بعض الشيء مع ما ذكر في بنود الوثيقة، إشارة إلى قول الإمام علي عليه السلام: (ما عهد إلي رسول الله ﷺ شيئا خاصة دون الناس إلا شيئاً سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي. . .).

وكذلك كتب التفسير أولت اهتماماً بذكر بعض بنود الوثيقة ضمناً، فقد ذكر الجصاص (ت٣٧٠هـ) الجزء المتعلق

بين المهاجرين والأنصار ما نصه: (إن رسول اللهﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين)[٣٨].

ومن هنا نلحظ أن وثيقة المدينة لم ينفرد بذكرها مصدر أو مؤلف معين، بل على العكس فقد دونت في أغلب المصادر في مختلف العلوم، وإن دل هذا الأمر على شيء فيدل على صحة ما جاء في معظم فقراتها، لأنه يوجد هناك اتفاق واضح بين هذه المصادر على روايتها، وإن يسجل على البعض أنها وردت عندهم دون إسناد، ويكون الطرف الوحيد الراوي لها ابن إسحق، لكن وجدنا في مصادر أخرى كما ذكرنا أنها وردت مسندة كما ذكرت مثلاً عن العلامة الزهري وغيره ■

---

(١) ينظر بنود الوثيقة التي أقرت هذه المفاهيم في مجتمع المدينة. ابن هشام (من أعلام القرن الثالث الهجري)، السيرة النبوية، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة مدني، ١٩٦٣)، ٣٤٨/٢-٣٤٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

(٣) لمزيد من المعلومات حول تدوين السنة النبوية ينظر: هيكل، محمد حسنين، حياة محمد، (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨)، ص٤٩، الشهرستاني، علي، منع تدوين الحديث، (قم: دار الغدير بلا)، ص٢١-٦٣، الجلالي، محمد رضا، تدوين السنة الشريفة، مطبعة مكتبة الاعلام الاسلامي، ١٤١٨هـ، ص٤٢٣-٥٢١، ابو رية، محمود، أضواء على السنة المحمدية، (نشر البطحاء، بلا)، ص٤٢ ومابعدها.

(٤) حياة محمد، ص٥٢.

(٥) هيكل، حياة محمد، ص١٤، ١٧، ابو ريه، أضواء على السنة المحمدية، ص٢٧٠.

(٦) نقلا عن: حسين، فالح، بحث في نشأة الدولة الإسلامية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠)، ص٤٦.

(٧) مؤنس، حسين، دراسات في السيرة النبوية، (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٥) ص١١٨، ص١٢١.

(٨) السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم ضياء العمري (جامعة قطر: مركز بحوث السنة والسيرة،١٩٩١)، ٤٢/١.

(٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٨/٢-٣٤٩.

(١٠) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٦ (بيروت: دار النفائس،١٩٨٧) ص٥٧-٦٤.

(١١) ربعاتهم، محركة، وتكسر الباء أي: منازلهم. وقال الفراء: الناس على سكناتهم ونزلاتهم، ورباعتهم، وربعاتهم، يعني على استقامتهم. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن المكرم (ت ٧١١هـ)،( قم: نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ)، ١٠٧/٨-١٠٨؛ الزبيدي، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت: ١٤١٤ هـ، ١٤٠/١١.

(١٢) يتعاقلون: أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها. وهو تفاعل من العقل. والمعاقل: الديات، جمع معقلة. يقال: بنو فلان على معاقلهم التي كانوا عليها: أي مراتبهم وحالاتهم. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، (قم: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٦٤ش)، ٢٧٩/٣.

(١٣) العاني: الأسير. الفراهيدي، أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (إيران: مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ) ، ٢٥٢/٢.

(١٤) دَسيعةَ: أي طلب دفعاً على سبيل الظلم، فأضافه إليه، وهي إضافة بمعنى من. ويجوز أن يراد بالدسيعة العطية: أي ابتغى منهم أن يدفعوا إليه عطية على وجه ظلمهم: أي كونهم مظلومين أو أضافها إلى ظلمه لأنه سبب دفعهم لها. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ١١٧/٢.

(١٥) المقصود في هذا البند المسلمون فقط من أهل الصحيفة، وليس كل أهل الصحيفة كما يدل السياق.

(١٦) وقد يوحي هذ البند ومثيلاته لاحقاً أن الصحيفة كتبت بعد معركة بدر.

(١٧) ينظر على سبيل المثال: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٣٥٠-٣٥١، الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨)، ص٢٢، ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٢)، ص١١٠، الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، (بيروت: دار المدار الاسلامي، ٢٠٠٢)، ٢/١٦٧-١٧٠، العاملي، مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظمﷺ، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ)، ٤/٢٤٨-٢٥٣.

(١٨) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة امين فارس ومنير البعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤)، ص٤٣-٤٤، الموصللي، أحمد، جدليات الشورى والديمقراطية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م)، ص٣٦-٣٧، وات، مونتغمري، الفكر السياسي الإسلامي: المفاهيم الأساسية، ترجمة صبحي حديدي (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١)، ص٤-١٤.

(١٩) حسين، بحث في نشأة الدولة الإسلامية، ـ الهامش ـ ص٤٦.

(٢٠) الوثائق السياسية، ص٥٧-٦٤.

(٢١) السيرة النبوية، ٢/٣٤٨.

(٢٢) محمد بن عبد الله بن يحي، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٦)، ١/٢٦٠- ٢٦٢.

(٢٣) المصدر نفسه، ١/٢٦٢.

(٢٤) إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨)، ٣/٢٧٣.

(٢٥) أبي بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، (بيروت: دار الفكر، بلا)، ٨/١٠٦.

(٢٦) جار الله محمود بن عمر، الفايق في غريب الحديث، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)، ٢/٧.

(٢٧) القاسم بن سلام الهروي، صححه وعلق على هوامشه محمد حامد الفقي، (القاهرة: الكليات الأزهرية، بلا)، ص٢٩٠-٢٩٤.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٢٩٤-٢٩٧.

(٢٩) حميد بن مخلد الأردي، الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٨٦)، ص٤٦٦-٤٧٠.

(٣٠) عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المعروف بـ (العبر وديوان المبتدآ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١) ج٢/ق١/٢٩٢.

(٣١) محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٤٠٧ هـ)، ٢/١٧٢.

(٣٢) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، إمتاع الأسماع، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩)، ٩/٢٠٠.

(٣٣) علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٠هـ)، ٢/٢٩١.

(٣٤) سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، حقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ)، ٢/٣٢.

(٣٥) سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، (القاهرة: دار إحياء التراث العربي، بلا)، ١٩/٧٨.

(٣٦) أبو عبد الله أحمد بن محمد، المسند، (بيروت: دار صادر، بلا)، ١/١١٩.

(٣٧) أبي بكر أحمد بن علي الرازي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان وسيد كسروي، ط١، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٣٨ هـ)، ٨/٢٤.

(٣٨) أحكام القرآن، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ١/٤٧.

# جوهر التسامح.. ديني أم علماني؟!

## الإمام جعفر الصادق عليه السلام مثالاً

**فؤاد جابر كاظم** •
المملكة المتحدة

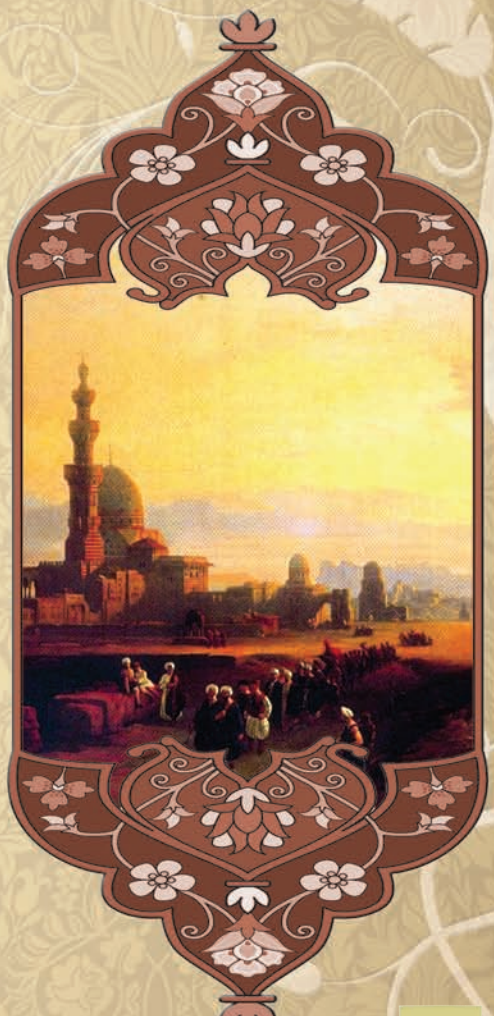

**ينابيع**

يبدو الترابط بين التسامح والعلمانية أمراً بديهياً لا يحتاج إلى نقاش. في المقابل، فإن العلاقة بين الدين والتسامح أصبحت إشكالية ومحط نظر الباحثين والمفكرين.

إن إشكالية العلاقة بين الدين والتسامح يمكن تلخيصها بالسؤال التالي: هل الدين يقود إلى التسامح أم إلى التعصب؟

لقد أعيد طرح الجدل حول ماهية العلاقة بين الدين والتعصب، خصوصاً بعد الهجمات الإرهابية التي أصابت قلب الولايات المتحدة الأمريكية في ١١ أيلول ٢٠٠١، ومن ثم التفجيرات التي طالت بعض الدول الغربية. وتصاحب مع ذلك مد إعلامي وفكري واسع الاهتمام بالإسلام، متعدد الدوافع والأغراض، لكنه يؤشر بكل الأحوال إلى حقيقة الوجود الإسلامي في الغرب عموماً ومدى قابلية الإسلام على مواجهة تحدي سؤال الهوية فضلاً عن محتوى الدين/ الرسالة في مجتمع لا إسلامي، متعدد الديانات.

بحسب الاستبيانات التي أجرتها صحيفة الغارديان البريطانية، حول أثر الدين في المجتمع

البريطاني، فإن الأمر لا يحتاج إلى كثير من التأويل والجدل. فقد توصل الاستبيان إلى أن ٨٢٪ من الذين تم استطلاع رأيهم قد وافقوا على أن الدين يسبب الانقسام في البلد ويؤدي إلى التوتر بين الناس، بينما جادلت أقلية صغيرة في أن الدين ربما يكون قوة للخير. هذه النظرة السلبية للدين هي التي قادت هذه الأغلبية (بما نسبته ٦٣٪ منهم) إلى نفي صفة التدين عن أنفسهم والنأي بها عن أي ممارسات دينية منتظمة[1].

إن هذه المقدمة، تأتي على النقيض، تماماً من هدف هذا البحث الذي يرمي إلى كشف ارتباط التسامح بالتدين من خلال تناول تجربة تاريخية معينة لواحد من أكبر علماء المسلمين وأئمتهم، ذلك هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام من خلال مقارنة تجربته الفكرية والعملية بالأفكار والمبادئ العملية للتسامح الغربي الحديث، باعتبارها آخر ما وصل إليه الفكر الإنساني في تجربته الطويلة.

إن أول سؤال يتبادر إلى الأذهان هو: لماذا هذه المقارنة؟

إن من المعلوم أن فكرة التسامح قد التصقت (نظرياً على الأقل) بما عرف بعصر الأنوار في أوروبا. لكن هذا المبدأ الإنساني، للاستدراك والتوضيح، لم يكن من صنع أوروبا، أو حكراً عليها، كما يتصور بعض الباحثين. صحيح أن فكر التسامح بشكله المعاصر هو أوروبي النشأة، خصوصاً لارتباطه بالثورة على الدين ونزعته العلمانية، لكن ذلك وحده لا ينفي قيام التسامح لدى الثقافات الأخرى، كما أنه دليل على اختلاف التجربة التاريخية التي نشأ في أحضانها التسامح، بما يقود للقول إن حاصل كل تجربة تاريخية، ربما يقود إلى شكل مختلف من العلاقة بين الدين والتسامح.

## الدين والتسامح بين الغرب والشرق

على الرغم من ترسخ جذور التسامح

في الفكر الديني المسيحي، خصوصاً ما يستشف من عبارات السيد المسيح عليه السلام الداعية إلى مسامحة الأعداء، وتحمل الأذى، فان احترامه كقيمة أساسية لم يصبح واقعاً ملموساً وشائعاً إلا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وذلك مع تحول هذا التسامح (المسيحي) إلى أحضان العلمانية.

إن ظهور العلمانية الأوروبية كان مرتبطاً كلياً بظهور الفكر العقلاني في أوروبا. وعلى حد تعبير المؤرخ الإنكليزي المشهور هوبسباوم فإنه إذا كان هناك من دين قد ازدهر بين النخبة المثقفة في أواخر القرن الثامن عشر، فهي العقلانية، التي كان أبرز سماتها، نزعة معاداة رجال الدين. كما يشير هوبسباوم إلى أن هذه العقلانية قد ارتبطت بالطبقة الارستقراطية وبصفة اللا أخلاقية[٣].

لقد تعمقت الشقة مع الدين وبشكل أكبر مع حدوث الثورات السياسية الكبرى كالثورة الأمريكية والثورة الفرنسية اللتين، نادتا بأفكار إنسانية عامة، ولم يكن للمسيحية فيهما أي دور يذكر[٣].

في ظل تلك الظروف، تشكلت طبقة المثقفين الأوربيين العلمانيين الجدد، التي قامت أساساً على معاداة الدين. لذلك تبدو المبادئ العقلانية وفكرة التسامح الإنساني، التي حمل لواءها، ممثلو هذا التيار، على خصام تام مع الدين، الذي أصبحت معاداته موضة دارجة بين الأوربيين عامة[٤].

على ضوء ذلك، تبدو محاججة شاتوبريان، بأن المسيحية هي دين الحرية، وبأنه ليس من دين حقيقي بدون حرية ولا من حرية حقيقية بدون دين[٥]، أشبه ما تكون بصيحة صارخ في البرية، متأخرة كثيراً. فالمسيحية قد أخلت الطريق للدين الجديد (العلمانية)، التي تواءمت مع العقلانية وكأنها دين الغرب الجديد. إن هذا يفسر جزئياً نزعة معاداة الأديان الأخرى، تلك النزعة التي تشيع بين الغربيين خصوصاً بعد تراجع المسيحية. لذلك فإن ما يجب التشديد عليه هنا أن نزعة التسامح الإنسانية الأوروبية التي نشأت إثر عصر التنوير، قد بنيت أساساً على معارضة الأديان باعتبارها أساس عدم التسامح والكراهية. كتب المفكر الفرنسي فولتير: كل رجل عاقل صالح يجب أن يرهب الفرقة المسيحية... والإنجيل الوحيد الذي يجب أن نقرأه هو كتاب الطبيعة الكبير الذي كتبته يد الله وختمته بخاتمها. والديانة الوحيدة التي يجب التبشير بها هي عبادة الله والسعي للخير. وإنه ليستحيل أن تنتج هذه الديانة الصافية الخالدة شراً قدر ما يستحيل على التعصب المسيحي ألا ينتجه[٦].

لقد حدث هذا التحول بعد مخاضات عديدة، تحول خلالها دعاة العقلانية من أحضان العقيدة الدينية المسيحية الخالصة إلى النزعة الربوبية ومن ثم إلى عقيدة الدين الطبيعي الذي كان حاضنة العلمانية. لقد نمت نزعة التسامح بشكل اطرادي مع ازدهار ما سمي بدين العقل. ودين العقل، في حقيقة الأمر، ما هو إلا نزعة علمانية خالصة.

ويشير مفكر أوروبي صراحة إلى أن دين العقل هذا مثل خروجاً على روح البروتستانتية قدر ما كان خروجاً على روح الكاثوليكية. فإذا كان قد وجد مكاناً له في البروتستانتية أكثر من الكاثوليكية، فليس السبب أن المذهب الأول كان أكثر تسامحاً في اختلاف الرأي من الثاني، ولكن لأن الانقسامات بين البروتستانت جعلت

التسامح أمراً ضرورياً[٧].

إن من الضروري هنا الإشارة إلى أن النظرة إلى أصحاب الأديان الأخرى (غير المسيحية) وكذلك الملحدين في صفوف المجتمع الأوروبي سوف تظل مقرونة بالشك وعدم الاحترام، ولفترات طويلة آتية، ولم يشذ عن ذلك إلا أقل القليل من المفكرين الأوروبيين. وربما كان أفضل مثال على ذلك ما جاء في رسالة جون لوك، المفكر الإنكليزي المشهور، حول التسامح، تلك الرسالة التي تمثل أحد الأسس النظرية الكبرى والأولى في عقيدة التسامح المعاصرة في الغرب، علماً أن لوك الذي كتب رسالة في التسامح، كان سبق وأن كتب رسالتين ضد التسامح بين عامي ١٦٦١-١٦٦٢ مما يشكل مفارقة لافتة.

لقد شكلت ( رسالة في التسامح) صياغة نظرية راقية المستوى، في عصرها، بل إنها مثلت فكراً جديداً على أوروبا المتعصبة في ذلك الوقت. كتب جون لوك، وهو يتحدث بلغة، تسبق لغة عصره، من عام ١٦٨٩:

ولكي نقول الحق، وكما ينبغي لكل إنسان مع آخر، لا يجوز استبعاد وثني أو مسلم أو يهودي من الدولة بسبب دينه. إن الإنجيل لا يأمر بشيء كهذا. والكنيسة، وهي لا تحكم على من هو خارجها، لا تريد هذا. والدولة، وهي تقبل الناس بوصفهم ناساً طالما كانوا أمناء مسالمين، مجتهدين لا تحتاج إلى هذا[٨].

لكن وعلى الرغم من هذا الرقي الأخلاقي لفكر لوك، بما يجعله من رواد حركة التسامح في الفكر الإنساني، فإن معنى التسامح لديه بقي مقيداً إلى حد بعيد بمعايير سياسية واجتماعية متعددة. فعلى الصعيد السياسي، لم يتسامح لوك مع الكاثوليك، بحجة أنهم كانوا يدينون بالولاء إلى غير انجلترا، أي إنهم يوالون البابا في الفاتيكان من جهة وهم يوالون ملك فرنسا من جهة أخرى. كذلك استثنى لوك كلاً من الملحدين، على اعتبار أنه لا أمان لمن لا يؤمن بالله، وأصحاب الآراء التي تتنافى مع المجتمع الإنساني، أو مع تلك القواعد الأخلاقية الضرورية للمحافظة على المجتمع المدني[٩].

كذلك فان لوك، المفكر المتسامح، سوف يستثير دهشتنا، كما يقول مؤرخ الفكر الغربي ستورمبرج، حين نعلم أنه كان مدافعاً، ولو بشكل جزئي، عن الرق. أما دفاعه عن الحرية، فقد وصف، بأنه دفاع عن حرية أولئك الأثرياء من الإنكليز من أبناء طبقته[١٠].

لقد ظل معيار التعامل الاجتماعي والسياسي والأخلاقي في أوروبا هو ما يمكن تسميته (النظرة المركزية الدينية المسيحية). فالأفراد الآخرون، غير المسيحيين، كانوا يبدون مجردين من الفضائل الأخلاقية، وذلك لأنهم ببساطة ليسوا مسيحيين. كما أنه ليس غريباً في مثل تلك البيئة المتعصبة، أن ينظر إلى الفكرة التي طرحها المفكر الفرنسي بيار بايل، والقائلة بأنه ليست ثمة علاقة بين الفضائل المدنية وبين الدين، وبأن الملحد قد يكون مواطناً طيباً، على أنها مجرد مفارقة فكرية محض، ستدعى في ما بعد (مفارقة بايل).

لقد بقيت النظرة إلى الأديان السماوية الأخرى، أسيرة العادات والتقاليد المتوارثة. فالمسلمون، بحسب تلك العادات الفكرية المتوارثة، لا يملكون أخلاقاً وهم ليسوا نظيفين، بل إن الإسلام نفسه سيبقى مجرداً، حتى وقتنا الحاضر، من أي فضيلة

أخلاقية. لهذا شكلت بعض أفكار روسو وفولتير، المتسامحة، وقتها، بخصوص الإسلام، خرقاً واضحاً في سياج المنظومة الفكرية الأوروبية المتوارثة، علماً أن هذه الأفكار تبدو في معاييرنا المعاصرة، أبعد ما تكون عن التسامح أو الموضوعية.

إن هذه المقدمة التاريخية الفكرية تجرنا إلى الفكرة الأهم التي يعتنقها الأوروبيون عامة وكثير من مفكري العالم الإسلامي وهي تتمحور حول مدى إمكانية جعل الدين متلائماً مع مبدأ التسامح؟

يضع أحد المفكرين الأوروبيين هذه المسألة على شكل معادلة، ملخصها أنه كلما ازداد إيمان المرء شدة... يصبح تسامحه أقل مع كل رأي مخالف لرأيه، فالمرء لا يتسامح مع الخطأ الفاضح[11]. ويشير الباحث المذكور إلى مفارقة غريبة جد مهمة. فالتسامح، وفقاً له، يدين بالفضل الأكبر في نجاحه إلى تعصب المذهبيين، الذين لم يستطع الاضطهاد بكل أنواعه أن يرغمهم على الارتداد عن مذاهبهم، وهؤلاء كانوا أيضاً بدورهم متعصبين، لا بل شديدي التعصب. ولو قدر لأي مذهب من مذاهب البروتستانتية أن يستولي على السلطة، لما كان أتباعه يتورعون عن اقتراف كل ما هو بعيد عن التسامح. وهكذا عندما أمسى المجتمع يتألف من عدد من المذاهب الدينية المختلفة، أصبح من الضرورة المطلقة اختراع نظرية للدولة لتسمح لمختلف طوائفها بالتعايش معاً، وتحول دون اقتتال الطوائف مع بعضها[12].

ويذهب باحث مسلم معاصر إلى النتيجة ذاتها. فمن خلال مقارنته بين المذاهب الفكرية المختلفة، يصل المفكر الإيراني المعروف عبد الكريم سروش، إلى استنتاج أن الليبرالية أكثر وفاء للنزعة الإنسانية من بقية المذاهب الأخرى. ثم يخلص سروش إلى نتيجة أخرى مفادها أن المجتمع الديني والملتزم بشريعة خاصة لا يتلاءم بحال من الأحوال مع أصول الليبرالية وفروعها. ويضيف: تأسيساً على ذلك، نقول بأنه لا يمكن للإنسان المتدين أن يكون ليبرالياً[13].

على الضد من ذلك، لا يرى المفكر المصري الدكتور توفيق الطويل أي تلازم بين الإيمان والتعصب. يقول الطويل: فالإيمان لا يستلزم التعصب ولا يقتضي التزمت إلا عند من صدئت قلوبهم وأظلم الجهل عقولهم، وأكلت الإحن والأحقاد صدورهم؛ وإذا نزل الإيمان السمح بالقلب السليم ملأه صفاء وبدل غيابته نوراً. فالتعصب يلازم الإيمان في العصور التي يعتريها الركود العقلي، ويزايله حين يمحى الوجود باستنارة العقل، إذ تتسع جوانب النفس وتصفو القلوب، ويجتمع في المؤمن وحي القلب ومنطق العقل من غير أدنى تعارض.

ومن هذا كله نرى خطأ الزعم القائل بان الإيمان لا يحتمل التسامح، ولعل الأصح أن يقال إن الإيمان والتسامح لا تربط بينهما علاقة تضاد أو تناقض تمنع اجتماعهما معا، إنما تقوم علاقة التضاد بين التعصب والتسامح، واجتماع الضدين عند المناطقة محال[14]. لكن باحثاً آخر، يشترط لحصول التسامح في المجتمع الديني، أن يصار إلى نقد التراث الديني من خلال اجتهادات جديدة، فيصار عن هذا الطريق إلى استمرار حقوق الإنسان بمعناها المعاصر، واستيعابها داخل ثقافتنا الدينية، عندئذ يمكن لمجتمعنا الديني الانسجام مع التسامح، وقبوله كمبدأ

سياسي- اجتماعي[١٥].

ومن الواضح، فإن الذين يحاججون بكون المسيحية أكثر تسامحاً من الإسلام، إنما يقيسون، أوروبا القرن التاسع عشر بأوضاع العالم الإسلامي في القرن العشرين مثلاً. ومع أن المقارنة غير صحيحة أصلاً، فإن هؤلاء الباحثين، يجعلون فضيلة التسامح مسيحية، أي إنها مرتبطة بالدين، لكن تاريخ التسامح الأوروبي، كما بينا، يناقض ذلك تماماً.

على كل حال، فإن هذه ليست هي المرة الأولى التي يطرح فيها مثل هذا التساؤل. ففي مطلع القرن العشرين، وفي معرض دفعه التهم ذاتها التي تطرح هذه الأيام، كتب الشيخ محمد عبده، رداً على الكاتب فرح أنطون، يفند فيه فكرة ترابط التسامح بالمسيحية، وارتباط الغلو والتطرف بالدين الإسلامي. ويورد الشيخ عبده أمثلة تاريخية وكلامية مقارنة بين أصول المسيحية والإسلام، كما يستعرض أمثلة من تسامح الإسلام.

ثم يجيب الشيخ عبده عن السؤال التالي: متى ولع المسلمون بالتكفير والتفسيق، ورمي زيد بأنه مبتدع وعمرو بأنه زنديق؟ ويجيب: إن ذلك بدأ فيهم عندما بدأ الضعف في الدين يظهر بينهم، وأكلت الفتن أهل البصيرة من أهله - تلك الفتن التي كان يثيرها أعداء الدين في الشرق وفي الغرب لخفض سلطانه وتوهين أركانه - وتصدر القول في الدين برأيه من لم تمتزج روحه بروح الدين، وأخذ المسلمون يظنون أن من البدع في الدين ما يحسن إحداثه لتعظيم شأنه، تقليداً لمن كان بين أيديهم من الأمم المسيحية وغيرها... وتولى شؤون المسلمين جهالهم، وقام بإرشادهم في الأغلب ضلالهم، في أثناء ذلك حدث الغلو في الدين، واستعرت نيران العداوات بين النظار فيه، وسهل على كل منهم، لجهله بدينه، أن يرمي الآخر بالمروق من الدين لأدنى سبب، وكلما ازدادوا جهلاً بدينهم ازدادوا غلواً فيه بالباطل...[١٦].

إن تحليل الشيخ محمد عبده يبدو على قدر كبير من الصواب. فالتعصب مقرون بالجهل وهو يرتبط ليس بالدين، وإنما بالجهل بالدين أو ضعف فهمه.

إن مثال الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي نتناوله هنا يدحض الزعم القائل بأن الدين مرتبط بالتعصب من جهة كما أنه يؤكد إمكان قيام تسامح ديني إلى أبعد الحدود. إن المثال الإسلامي الذي نقدمه هنا يشير لا إلى أسبقية واضحة على الفكر الغربي بخصوص التسامح فحسب، وإنما إلى فهم أرقى وأكمل كما سنتبين ذلك مما يلي.

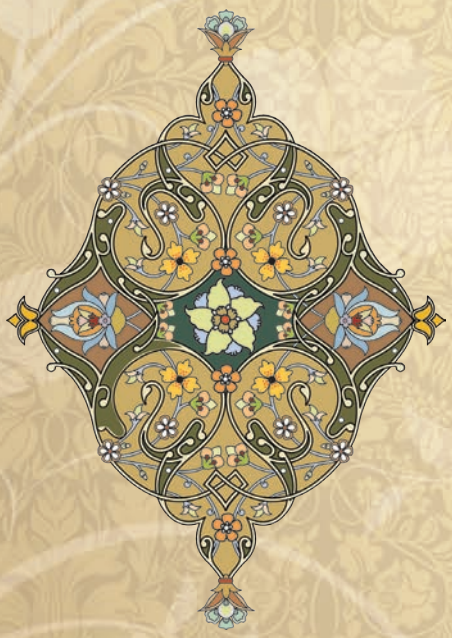

## الإمام الصادق(ع) ومنهج الحوار مع الآخر

ارتبط اسم الإمام الصادق عليه السلام بالتشيع على اعتباره واضع الأسس الأولى للفكر الشيعي، أكثر من ارتباطه بأي من أئمة الشيعة الآخرين. ويعود ذلك في حقيقة الأمر، إلى أن الصادق عليه السلام هو الذي وضع على يديه التنظيرات والقواعد الأولى للمذهب الشيعي فقهاً وكلاماً من خلال الدور الفكري الذي مارسه في وقته.

لقد اغتنم جعفر بن محمد الملقب بالصادق والذي ولد في عام ٨٠ هـ (ويقال ٨٣ هـ) الفسحة الفكرية التي سادت في المجتمع الإسلامي، تلك الفسحة التي تولدت نتيجة احتدام الصراع بين الأمويين والعباسيين، حيث عمل الصادق عليه السلام خلال تلك الفترة على نشر أفكاره وآرائه وكان عدد طلابه كبيراً جداً. ففي رواية مشهورة ومنقولة عن الحسن بن علي الوشاء، قال: أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ، كل يقول حدثني جعفر بن محمد عليهما السلام. ويمكننا بالطبع تخيل حجم التأثير الذي مارسه الصادق من خلال هذا العدد الضخم من الرواة والعلماء الذين تلقوا العلم على يديه.

ولا ينحصر تأثير مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في الفكر الشيعي فحسب، بل إن جلّ أصحاب المذاهب الإسلامية الفقهية والكلامية الأخرى، قد تتلمذوا أو استفادوا كثيراً من مدرسة الإمام الصادق عليه السلام[١٧].

لقد عمل الإمام الصادق عليه السلام على إنشاء جامعة علمية كبرى، حيث درس على يديه الآلاف من الطلبة مختلف العلوم العقلية والنقلية، امتدت من الفقه والأصول صعوداً إلى الكيمياء وعلوم الأحياء. ويبدو أن الإمام الصادق عليه السلام قد حرص على تخريج جهابذة الأساتذة والمدرسين، لكي يقوم هؤلاء بدورهم بنشر العلم والفضيلة. وكان حرص الإمام الصادق عليه السلام على نشر العلم، هو بالقدر نفسه من العناية والاهتمام بنشر الأخلاق الرفيعة في نفوس طلابه ومريديه. يقول الصادق في وصية لأحد أصحابه: يا ابن جندب: صِلْ من قَطعَك، وأعط من حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك، وسلم على من سبك، وأنصف من خاصمك، واعفُ عمن ظلمك، كما أنك تحب أن يعفى عنك، فاعتبر بعفو الله عنك، ألا ترى أن شمسه أشرقت على الأبرار والفجار، وان مطره ينزل على الصالحين والخاطئين[١٨]. ومن دون شك، فإن كلمات السيد المسيح التي توصي بمحبة الأعداء والتسامح مع المخطئين، والتي كثيراً ما نظر إليها على اعتبارها أساس عقيدة التسامح المسيحية، تبدو إلى جانب عبارة الإمام الصادق عليه السلام، وكأنها قد خرجت من نبع واحد.

وفي وصية أخرى، عميقة المغزى، يخاطب الإمام الصادق عليه السلام أبا بصير قائلاً: يا أبا محمد لا تفتش الناس على أديانهم فتبقى بلا صديق[١٩]. إن كلمات الإمام الصادق هذه، تحمل أكثر من معنى، لكنها جميعاً تشير إلى المدى الواسع من التسامح الذي يؤمن به الإمام ويدعو إليه أصحابه عند تعاملهم مع الناس.

ويمكن أن نجد تطبيق هذه الدعوة في حياة الإمام الصادق عليه السلام نفسه. فمن المعلوم أن أي حديث عن مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، لابد وأن يتعرض بالتفصيل لعلاقة الإمام عليه السلام بظهور المذاهب المغالية والإلحادية، التي انتعشت وقتذاك، وبشكل لافت للنظر. ويمكننا من خلال الدراسة المتأنية لحياة

الإمام الصادق عليه السلام أن نلاحظ أن موقف الإمام الصادق من المغالين والملحدين قد اتسم بالتمايز والاختلاف. فالإمام الصادق يتخذ من جهة موقف الشدة والصرامة والقطيعة مع الغلاة، الأمر الذي يعيد للأذهان موقف الإمام علي عليه السلام من المغالين الذين ذهبوا إلى تأليهه. يروي المفضل بن يزيد، قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام وقد ذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة: يا مفضل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تصافحوهم ولا توارثوهم[٢٠].

من جهة أخرى، فإن موقف التشدد بل والحرب الصريحة من جانب الإمام الصادق عليه السلام تجاه المغالين لا يتكرر مع الملحدين والمشككين من الزنادقة والدهريين وأمثالهم. على العكس من ذلك نرى الإمام الصادق عليه السلام وهو يطلب من أصحابه دعوة هؤلاء الملحدين والزنادقة إلى المناظرة والمحاورة. كما بلغ من عناية الإمام عليه السلام بهذا الأسلوب أنه كان يدعو أصحابه من النابهين وأهل الفكر فيهم إلى عقد مجالس المناظرة في ما بينهم للتمرن والتدريب على مواجهة الخصوم. فقد روى الكشي أن جماعة من أصحاب الصادق عليه السلام منهم جميل بن دراج وعبد الرحمن بن الحجاج وجماعة غيرهما يبلغون نحواً من خمسة عشر رجلاً أو يزيدون اقترحوا على هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم في التوحيد وصفات الله سبحانه وكلاهما من البارزين بين أصحاب الإمام الصادق عليه السلام في الفقه والكلام والفلسفة وغيرها من العلوم، فعقدوا مجلساً لهذه الغاية ودار بينهما الجدل والحوار على جميع الافتراضات التي يمكن أن تكون موضع جدل وحوار بينهم وبين أخصامهم من الزنادقة والمنحرفين[٢١].

وكثيراً ما دخل الإمام الصادق عليه السلام في حوارات مع الملحدين والدهريين حول مسائل إثبات الألوهية والاعتقادات والتصورات الدينية الأخرى، ليصل بالملحد إلى الإيمان أو ليتركه وشأنه. يروي الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن هشام بن الحكم (من كبار أصحاب الصادق عليه السلام) أن زنديقاً أتى من مصر إلى الإمام الصادق وكان قد سمع عن علم الإمام فجاء إلى المدينة فلم يصادفه بها، فخرج إلى مكة فانتهى إليه- وهو في الطواف- فدنا منه وسلم فقال له أبو عبد الله (الصادق عليه السلام): ما اسمك؟ قال: عبد الملك. قال: فما كنيتك؟ قال: أبو عبد الله. قال أبو عبد الله (الصادق عليه السلام): فمن ذا الملك الذي أنت عبده، أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء؟ وأخبرني عن ابنك أعبد إله السماء، أم عبد إله الأرض؟ فسكت. فقال أبو عبد الله (الصادق عليه السلام): قل! فسكت. فقال: إذا فرغت من الطواف فائتنا، فلما فرغ أبو عبد الله من الطواف أتاه الزنديق، فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده. فقال أبو عبد الله: أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً. فقال: نعم. قال: فدخلت تحتها؟ قال: لا. قال: فهل تدري ما تحتها؟ قال: لا أدري إلا أني أظن أن ليس تحتها شيء. فقال أبو عبد الله: فالظن عجز ما لم تستيقن، ثم قال له: صعدت إلى السماء؟ قال: لا، قال: أفتدري ما فيها؟ قال: لا. قال: فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟ قال: لا. قال: فالعجب لك! لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل تحت الأرض، ولم تصعد إلى السماء، ولم تخبر ما هناك فتعرف ما خلفهن، وأنت جاحد بما فيهن، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟! فقال

الزنديق: ما كلمني بهذا غيرك. قال أبو عبد الله: فأنت من ذلك في شك، فلعل هو ولعل ليس هو. قال: ولعل ذلك. فقال أبو عبد الله: أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم، ولا حجة للجاهل على العالم. يا أخا أهل مصر، تفهم عني، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان ولا يستبقان، يذهبان ويرجعان، قد اضطرا ليس لهما إلا مكانهما، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلِمَ يرجعان. وإن كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟ اضطرا والله يا أخا أهل مصر. إن الذي تذهبون إليه وتظنون من الدهر، فإن كان هو يذهبهم، فلم يردهم؟ وإن كان يردهم، فلم يذهب بهم؟ أما ترى السماء مرفوعة، والأرض موضوعة، لا تسقط السماء على الأرض، ولا تتحدر الأرض فوق ما تحتها، أمسكها والله خالقها ومدبرها. قال: فآمن الزنديق على يدي أبي عبد الله عليه السلام[٢٢].

ويؤكد باحث معاصر أن الإمام الصادق عليه السلام الذي شجع على الحوار مع هؤلاء الملحدين والزنادقة، دخل أيضاً بنفسه في حوارات مشتركة معهم. وحسب الباحث المذكور فإننا لا نجد في رواية من الروايات إشارة منه عليه السلام إلى ارتدادهم ووجوب قتلهم واستتابتهم رغم تصريحهم أمامه بالكفر البواح وتشكيكهم بالله ورسوله وسائر العقائد الدينية واستهزائهم بالشعائر الإسلامية. وان ما سطرته صفحات التاريخ عن المجالس الحوارية والحلقات النقاشية التي عقدها الصادق عليه السلام معهم حتى داخل بيت الله الحرام تعكس جو الحرية الفكرية السائد آنذاك ورحابة الإسلام في تقبل الآخر كما هو لا كما نريده، والإصغاء إلى أفكارهم مهما كانت، بعيداً عن كل أشكال القمع والإرهاب الفكري[٢٣].

إن التسامح - حسب الصادق - هو واجب ديني واجتماعي وأخلاقي ولا يمثل منة أو فضلاً. إن هذا الفهم يتجاوز التصور المسيحي للتسامح، الذي تقتضيه الظروف، كما يشير إلى ذلك المفكر عبد الرحمن بدوي، وهو بالتالي ليس عقيدة. فإن اقتضت الظروف - السياسية غالباً - ان يتسامح مع المذاهب والأديان الأخرى، لأن عدم التسامح سيؤدي إلى شرور أكبر، فإن من المندوب - ولا يقال من الواجب - التسامح[٢٤].

إن فكرة التسامح و- بالتالي النزعة الإنسانية- التي أراد أن يؤسس لها الإمام الصادق في الفكر الإسلامي بصورة عامة، إنما تمثل أصلا وعقيدة. أي أن التسامح عند الامام الصادق عليه السلام هو مسألة جوهرية، روحية، وأمر واجب، فهو ليس مرتبطا بالظروف كما أنه لا يخضع للتأويل المتبدل. كذلك، وكما هو واضح، فإن التسامح هنا مولود في حضن الدين، أي على عكس التسامح العلماني الأوروبي، الذي انتهى بتقاطع حقيقي مع الدين التقليدي.

وكما رأينا، فإنه لا أوروبا المسيحية ولا مفكرو العلمانية في القرن التاسع عشر، قد تعاملوا مع الملحدين والزنادقة بمثل الطريقة الإنسانية التي تعامل بها الإمام الصادق عليه السلام. لقد بقيت أوروبا حتى وقت قريب تعامل الملحدين على أنهم خارجون على المذهب الرسمي الذي تعتنقه الأغلبية، فكانت القطيعة الاجتماعية والدينية هي الأسلوب الأمثل والأوحد الذي تمارسه أوروبا. لكن الإمام الصادق عليه السلام انتهج أسلوباً آخر، يختلف تمام الاختلاف، متقدماً على أوروبا بما يقارب الألف عام. وكانت نتيجة

المنهج الذي اتبعه الصادق عليه السلام أنجع وأكثر تأثيراً في الخصم من الأسلوب الذي اتبعته أوروبا سابقاً. اسمع لابن أبي العوجاء، وهو الزنديق المشهور، الذي لا يؤمن بالإسلام، والذي طالما تحاور مع الإمام الصادق عليه السلام هو وأصحابه، كيف يتحدث عن الإمام الصادق: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهى أمر وصية محمد إلا إلى جعفر بن محمد. والله ما رأيناه إلا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته.

إذن يمكن القول وباطمئنان، إن الإمام الصادق عليه السلام قد سبق مارتن لوثر مفجر حركة الإصلاح الديني في أوروبا، والذي دعا إلى التغلب على الملحدين بواسطة الكتابة، لا بواسطة النار. لقد كان الإمام الصادق عليه السلام هو الواضع الحقيقي لمبدأ الحوار مع الملحدين والكافرين. وقد عمق الصادق عليه السلام هذا المبدأ من خلال التسامح الأخلاقي وعدم اللجوء إلى الأساليب المتطرفة في التعامل مع الآخر المختلف فكرياً وعقائدياً ■

---

(١) الغارديان، السبت ٢٣-١٢-٢٠٠٦، لاحظ الصفحة الأولى وكذلك الصفحتين ١٢-١٣ وأيضا تعليق الغارديان على صفحة ٣٠.

(٢) Eric Hobsbawm: The Age of Revolution ١٧٨٩-١٨٤٨ London، ٢٠٠٣، pp٢٦٧-٢٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٤) للاستزادة أكثر حول المواجهة بين العقلانية والفكر الحر من جهة والدين من جهة أخرى، في أوروبا لاحظ، ل. دونوروا و البير بايه: من الفكر الحر إلى العلمنة. ت. د. عاطف علبي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص٢٥ وما بعدها.

(٥) شوفالييه، تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية، ت. د. محمد عرب صاصيلا، بيروت، ١٩٩١، ط١، ص١٨٦-١٨٧.

(٦) راندال، جورج: تكوين العقل الحديث، بيروت، ج ١، ص ٤٤٦.

(٧) راندال: تكوين العقل الحديث، ج ١، ص ص ٤٣٤- ٤٣٥.

(٨) جون لوك، رسالة في التسامح، ت. د. عبد الرحمن بدوي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠٠٥ ص ١٢٠

(٩) لاحظ بدوي، عبد الرحمن: مقدمة رسالة في التسامح، ص ٥٨.

(١٠) ستروميرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠٠- ١٩٧٧، ت. د. أحمد الشيباني، ص ١٣٢.

(١١) ستروميرج، رونالد: مصدر سابق، ص ١٠٥

(١٢) ستروميرج، رونالد: مصدر سابق، ص ١٠٥

(١٣) الدين العلماني، ت. أحمد القبانجي، ٢٠٠٤، ص٧٤، ص ٨٥، ص ٨٦.

(١٤) الطويل، توفيق: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩١، ص٢٨.

(١٥) شبستري، الشيخ محمد مجتهد: إشكالية التسامح، ص ٩٠ في التسامح وجذور اللاتسامح (ص ص ٨١-١١٣) مصدر سبق ذكره.

(١٦) محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق: محمد عماره، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢، ص ٣٤٠.

(١٧) لاحظ على سبيل المثال أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، مكتبة الصدر، قم، د. ت. كذلك انظر أبو زهرة، محمد: تأريخ المذاهب الإسلامية والفقهية (١-٢)، دار الفكر العربي، ١٩٨٧، ص ص ٦٨٨- ٧٢٢.

(١٨) الحراني، ابن شعبة: تحف العقول، قم، ط ١، ١٤٢٥ ص ٢٢٢.

(١٩) الحراني: ص ٢٧٠.

(٢٠) الحسني، هاشم، مصدر سبق ذكره، ج ٢ ص ٢٥١.

(٢١) الحسني، م. ن، ص ٢٥٨.

(٢٢) الشيخ أبو منصور الطبرسي: الاحتجاج، بيروت، مؤسسة الأعلمي ومؤسسة أهل البيت، ١٩٨١، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، ص ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢٣) الشيخ حسين الخشن: صفحات من تاريخ الإلحاد في الإسلام، بينات، العدد ١٢٦، ٥ آب ٢٠٠٥، ص٧.

(٢٤) لوك، مقدمة بدوي للرسالة ص ٧.

# خطوة في درب

بنت العراق •

ينابيع

مرَّ شهران بين ذهاب وإياب وتنقل من دائرة إلى أخرى (تأييد، كفالة، تعهد... إلخ) وإذا بين يديه مجموعة كبيرة من الأوراق المليئة بالتواقيع والأختام.. وغداً سيذهب بهذا (الفايل) إلى حيث يحصل على موعد لاستلام القرض...

القرض هل سيناله حقاً.. هذا ما يفكر به علاء: خمسة عشر مليون!! إنه حلم بذل في تحقيقه جهوداً كبيرة.. فهو وإن كان شاباً إلا أنه عاطل عن العمل.. يسكن مع والدته بيتاً مؤجراً. وخطيبته تنتظر بأسى منذ ثلاثة أعوام. سيتزوج ويرهن منزلاً... وإذا بقي اليسير يمكن أن يبدأ مشروعاً يأكل منه رزقاً حلالاً.

بهذا الحلم توجه صبيحة اليوم التالي إلى حيث يمكن أن يُسلّم (الفايل).. ما إن وصل المكان حتى لمح هناك (جمال) وتفاءل كثيراً برؤيته.. لأن جمال زميله منذ الدراسة الإعدادية وقد تخرجا معاً من الكلية نفسها منذ خمس سنوات.. وهو صديق مقرب وعزيز وإن كانت أفكارهما غير متقابلة.

تعانقا بحرارة.. وسأل كل منهما صاحبه عن حاله.. وتبادلا الأخبار والأحاديث... ثم سأله جمال: وأنت ما جاء بك هنا؟!

فأخبره بقصة القرض وحاجته الشديدة له.. وعسر حاله.. فقال له: إن عدد الطالبين حتى الآن أكثر من ثلاثة آلاف شخص.

فشعر بخيبة وسأل محبطاً: وكم شخصاً يسلم في اليوم؟ ـ ولا واحد ـ في الشهر؟ لا أحد.. ثم قال جمال متهكماً: (ولا واحد في السنة أيضاً).

فاتسعت عينا علاء دهشة وهو ينظر إلى صديقه، فقال له: لا تخف سوف تستلم القرض! ثم استرسل موضحاً الأمر.. يوجد طابور آخر يسير بشكل أسرع ويمكنك استلام النقود خلال أسبوع.. نعم أسبوع واحد وليس ١٥مليون بل ثلاثين ـ سأل بلهفة أكبر كيف؟! كيف!! قال له بـ٣ ملايين فقط، واحد مقدماً واثنان بعد أن تستلم...

هنا وقع الأمر كالصاعقة.. لا يعرف كيف أنهى الحديث.. وكيف وجد نفسه عائداً إلى البيت.. في السيارة.. (جمال) مسؤول عن القروض وقد تعهد بالأمر وبحكم معرفته بجمال فإن كل شيء يبدو أكيداً.. يقول إنه يعطي لأناس آخرين لتسهيل المهمة.. يريد ثلاثة ملايين ليُعطيني ثلاثين مليوناً.. إنه مبلغ أكثر مما كان يحلم به.. وراح يفكر.. يمكن أن يتزوج ويرهن بيتاً.. ويعمل.. ويحقق حلم والدته

العجوز فتذهب للعمرة كما وعدها دائماً.. إنها على أعتاب السبعين، وهذا حلمها الذي طالما ترددده.. ثم تذكر أنهم يريدون ثلاثة ملايين. سيبقى لديه سبعة وعشرون فقط وأعاد حساباته من جديد..

انتبه من أفكاره فإذا السيارة قد تجاوزت المنطقة التي فيها منزله بمسافة طويلة.. فنزل وعاد سيراً على الأقدام... لم يتناول الغداء.. ولا العشاء.. بدا مريضاً وهو يُفكّر.. حتى والدته العجوز قلقت عليه.. هل يشاركها أفكاره؟ أم يزيد بذلك من همومها؟! راح يفكر من جانب آخر.. (لعن الله الراشي والمرتشي..) وقول والدته.. لقمة الحلال بركة.. وماذا بعد.. هل يمكن لشخص أن يؤسس أسرته وعمله بالحرام؟! لا أبداً.. ولكن أنا مضطر... وفكر في يوم الحساب وثلاثة آلاف شخص واقفين أمامه ينظرون إليه شزراً.. لأنه سلبهم حقهم وأخذ مكانهم وطابورهم.. ربما فيهم المحتاج أكثر منه.. وربما المريض وربما من لا يجد لقمة!.. وغالباً إن فيهم من يكدس أحلاماً يسعى إلى تحقيقها مثله.. لكن.. لم لا يذهبوا إلى (جمال) ربما لا يعرفونه.. ولو عرفوه لأعطوه ما يريد وسدّوا حاجتهم.. بل ربما يتورعون عن أكل الحرام.. ثم أين مبادئه وأفكاره.. هل يمكن للمبادئ أن تُجمَّد حتى يحقق أحلامه؟! هل يا ترى أن السماء وضعت جمال في طريقه ليساعده.. أم أنه نوع من البلاء ة الاختبار..

سمع صوت أذان الفجر.. قام ليصلي.. ثم رفع يديه بالدعاء.. يا رب أنت تعلم أني مضطر ومحتاج ولا سبيل لي.. نعم إنه محتاج.. محتاج إلى زوجة وأسرة.. ومنزل يسكنه في مكان آخر لا يرى فيه وجه صاحب الإيجار الذي يهدده كل شهر. محتاج لسد الدين المتراكم والذي بسببه يتوارى عن أعين الناس خجلاً.. محتاج ليرد شيئاً من جميل والدته فيحقق حلمها بزيارة بيت الله الحرام وقبر النبي ﷺ. محتاج لأن يعمل فهو شاب وقد أرهقته البطالة.. (الفقر في الوطن غربة) وهو محتاج لأن يتخلص من هذه الغربة ويعود إلى أهله وناسه ووطنه...

جاءته والدته بالإفطار فتناوله على مضض إرضاءً لها ونزولاً عند رغبتها.. سألها أن تدعو له.. فلهجت بسيل الدعوات.. بتسهيل الأمر وتسديد الخطوات...

يومان من التفكير ثم حَسَم أمره.. اتصل بجمال فقال له كما تعرف يريدون مليون مقدماً.. بصعوبة كبيرة استدان المبلغ وتوجه إلى هناك..

في ظرف جميل وضع المال.. وتسلّمه جمال بكثير من اللامبالاة من صديق.. فتحه ليتأكد مما فيه قبل أن تمس أصابعه النقود.. كانت هناك أكثر من يد غليظة تمسك بساعديه (لتضبطه متلبساً) غادر جمال مكانه إلى حيث لا رجعة وفي اليوم التالي كان هناك أكثر من أحد عشر موظفاً متهماً في القضية بما فيهم معاون المدير.. أما (فايل) علاء فقد كتب عليه الرقم (٣١٧٥) وأعطي وصلاً بذلك.. حتماً سوف يسير الطابور بعد الآن..

خرج علاء مطرقاً.. بعد عدة خطوات رفع رأسه مفكراً.. صحيح أنه خسر صديقاً عزيزاً.. وضيّع حلماً.. بل أحلاماً.. وآمالاً.. لكنه جعل الطابور يسير بشكله الصحيح والأهم أنه.. ووحدَه.. استأصل ورماً كان يمكن أن يستفحل ويأكل جسد وطنه..

والوطن فوق كل شيء.. ■

# وفد أكاديمي ألماني..
# في ضيافة مؤسسة الحكمة

إعداد:
**عمار الجمالي ـ فادي الحسين**
تصوير:
**سرمد مرزه ـ مكي عبد الهادي**

ينابيع

وصل إلى مطار النجف الأشرف صباح يوم الخميس ٢٦ كانون الثاني، وفد أكاديمي ألماني، بدعوة من مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، التي يرعاها مكتب سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله) في النجف الأشرف. يضم كلًا من الدكتور كلاوس هاخماير نائب رئيس قسم إفريقيا والشرق الأوسط في وزارة الاقتصاد والتكنولوجيا الألمانية، والبروفسور سبيستيان غونذر، مدير الدراسات العربية والإسلامية في العصور الوسطى وتطور الفكر الإسلامي، والدكتورة أنغرد هايمر، أستاذة الدراسات الإسلامية في الجامعات الألمانية والكندية. وقد استقبل الوفدَ الضيفَ في مطار النجف الأشرف الدولي وفدٌ من مؤسسة الحكمة، في مقدمته، سماحة حجة الإسلام السيد صالح الحكيم مسؤول العلاقات العامة في المؤسسة.

واستهل الوفد زيارته، بالتوجّه إلى مقر مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، واستقبلوا بحفاوة، من قبل مدير المؤسسة الحاج فلاح العلي، الذي قدّم بعد ترحيبه بالضيوف، شرحًا موجزًا عن تاريخ المؤسسة وأهدافها ونشاطاتها، وحرصها على مد الجسور الثقافية والإنسانية بين مدينة النجف الأشرف والعالم الغربي بدعم وتوجيه من مكتب سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله). كما استمعوا إلى نُبذة من تاريخ النجف الأشرف وأهميتها الحضارية في العالمين الغربي والإسلامي.

ويُذكر أن اثنين من أعضاء الوفد الزائر، يتكلمان اللغة العربية بطلاقة، ويمتلكان ثقافة ممتازة، فالبروفسور سبيستيان كتب عن علماء المسلمين في العصور الوسطى كالفارابي والغزالي وابن سينا، وله مقالات وأبحاث كثيرة. كما تحمل الدكتورة أنغرد، دكتواره في تاريخ العلوم والتكنولوجيا، ودكتوراه في التاريخ الإسلامي، إضافة إلى ماجستير في الزراعة، وماجستير في الصيدلة.

وقد اكتمل عدد الوفد بعد ثلاثة أيام

بانضمام البارون باول مالتيزان إليه، وهو سفير سابق لألمانيا في العراق وعدة دول إسلامية والمدير التنفيذي الحالي لمعهد الدراسات الخارجية في ألمانيا الذي يضم ألفين وخمسمائة باحث.

ونظمت المؤسسة المضيفة للوفد، برنامجًا حافلاً بالنشاطات، في النجف الأشرف وبعض المحافظات الأخرى. نستعرضه كاملاً في الملف الذي أعددناه لهذه الزيارة:

## السلام على سيد العرب والعجم(٤)

افتتح أعضاء الوفد رحلتهم بزيارة العتبة العلوية المطهرة، والمرقد الشريف لسيد العرب والعجم أمير المؤمنين عليه السلام، وتشرفوا بالاطلاع على النفائس والمخطوطات النادرة التي تزخر بها الخزانة العلوية.

## جلسة حوارية في مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

صباح يوم الجمعة عُقدت في قاعة "المؤسسة"، جلسة حوارية بين

الوفد الأكاديمي الألماني، وبين نخبة من فضلاء الحوزة العلمية في النجف الأشرف وبحضور سماحة السيد عبد الحسين القاضي الأمين العام للمؤسسة، بهدف التعرف إلى الواقع الحوزوي في النجف الأشرف وما تمثله هذه المحافظة من عمق حضاري وديني يضرب جذوره في أعماق التاريخ، ، وقد حضر الجلسة التي أدارها سماحة حجة الإسلام السيد صالح الحكيم، نخبة من أفاضل الحوزة العلمية في النجف الأشرف والأساتذة الجامعيين العراقيين، فضلاً عن الوفد الضيف المؤلف من الدكتور كلاوس هاخماير، والبروفسور سبيستيان غونذر، والدكتورة أنغرد هايمر.

واستعرض المشاركون في الجلسة الحوارية، من أفاضل الحوزة العلمية، في مداخلاتهم، تاريخ الحوزات العلمية في العراق، التي تعاقبت عليها ظروف قاسية فرضتها أنظمة الجور والاضطهاد لاسيما في السنوات الثلاثين الماضية التي سبقت سقوط الطاغية اللعين، والتي ما زادت الحوزة العلمية إلا تماسكًا وتلاحمًا، وازديادًا في أعداد الطلبة المقبلين على طلب العلم في حاضرة الشيعة ومركزهم التاريخي، مدينة النجف الأشرف، كما أشاروا إلى مدى الأهمية الروحية التي يمثلها وجود العتبة العلوية المقدسة في النجف الأشرف، لمسلمي العراق والعالم.

وثمّن الوفد الضيف هذه المناسبة التي أتاحت لهم الفرصة للتعرف إلى النجف الأشرف، والحوزة العلمية فيها عن كثب، وما تمثله من مدرسة لا يعلمون عنها الكثير، بالمستوى ذاته الذي يعرفون فيه المدارس الأخرى، وأكدوا حرصهم الكامل على تشجيع التعاون، لتحقيق تفاهم إنساني وحضاري بين الشعبين، وإزالة الفكرة المغلوطة عن الإسلام في ذهن المواطن الألماني والغربي بسبب النموذج المتطرف الذي يقدم فيه بعض المحسوبين على الإسلام، ذلك الدين المتسامح إلى العالم.

وقد توصل المشاركون في الحوار، إلى فكرة تشكيل لجنة للبحث في أطر التعاون والتبادل الثقافي، ورحب الوفد برغبة الأكاديميين العراقيين، في الاطلاع على مناهج جامعة (جوتنج) الألمانية التي تدرس الدراسات العربية والإسلامية، لإبداء الملاحظات المتعلقة بتلك المناهج في ما يخص عقائد شيعة أهل البيت عليهم السلام، التي نالت منها أقلام بعض المستشرقين، إضافة إلى أراجيف المخالفين، وذلك للاطلاع على الحقائق من مظانها الأصلية والأصيلة.

وتأتي هذه الفعالية الثقافية، ، لإطلاع الرأي العام العالمي، على الدور الفكري والثقافي الريادي الذي اضطلعت به الحوزة العلمية في النجف الأشرف ومارسته عبر قرون طويلة، وتجدّدَ في هذا العصر بعد أربعة عقود من التغييب الإقليمي والعالمي القسري، الذي فرضه نظام القمع الوحشي والاستبداد البعثي البائد، وساهمت به كل دول العالم بمحافلها الفكرية، ومنابرها الإعلامية، ومؤسساتها الثقافية، على الرغم من كل ماتعرفه وتحتفظ به من صور ناصعة مشرقة، لهذه الحوزة التي تقدم الإسلام الحقيقي كما نزل وكما ورد، دون تحريف ولا تشويه ولا زيادة ولا نقصان ولا بدع، ولا إرهاب ولا ترهيب. وكأن الجميع كان متواطئًا من حيث يدري

أو لا يدري، على كتم صوت الإسلام الحقيقي، مقابل منح فسحة من الحرية، لمن ينتحل هذا الدين الحنيف، ويتحدث باسمه، لا بل يقتل ويذبح ويسحل ويحرق.

## زيارة العتبتين الشريفتين في كربلاء المقدسة

ثم نظمت للوفد زيارة إلى العتبتين المقدستين في مدينة كربلاء المقدسة، التقوا في بدايتها بسماحة السيد أحمد الصافي الأمين العام للعتبة العباسية الشريفة..الذي قدّم لأعضاء الوفد إطلالة موجزة على تاريخ الشيعة الذين يعتبرون أنفسهم امتدادًا للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وعلى التطور التاريخي الذي مرت به النجف الأشرف عبر أكثر من ألف عام كمصدر مهم للثقافة الشيعية الفكرية، وعن الحركات الفكرية الثلاث التي انطلقت منها مكمّلةً لها في كل من مدن الحلة، وكربلاء المقدسة، وقم المقدسة.

وأضاء سماحة السيد الصافي على الأسباب الكامنة وراء عدم إنصاف التاريخ للشيعة، المتمثلة بمعارضتهم للأنظمة السياسية المتعاقبة على الحكم في البلدان الإسلامية، وخشية المؤرخين من ذكر الحقائق التي تنصفهم، تحاشيًا لانتقام الحكّام.

ثم ختم سماحته بإبراز العوامل التي تجعل من الشيعة منفتحين على جميع آراء المفكرين الغربيين والشرقيين، على حد سواء، من مناقشات فرويد وسارتر والمذهب الوجودي، إلى أرسطو في المنطق الأرسطي، مرورًا بديكارت في المنطق الرياضي، بحيث أصبحت النقاشات حرة وواسعة لا تقف عند حد، وباب الاجتهاد عندهم مفتوحًا غيرَ موصد، وحرية الحركة الاجتهادية العقلية عندهم كذلك، وهذا ما جعل المذهب الشيعي يمتلك القدرة على المحافظة على

وجوده واكتفائه الذاتي، على مر السنين.

## ولقاء أكاديمي في كربلاء

بعد ذلك واصل الوفد جولته في كربلاءَ المقدسة، والتقى عددًا من إداريي جامعة كربلاء، وأساتذتها من مختلف الاختصاصات، كالاقتصاد وبرمجة الحاسوب، والسياسات النقدية والمالية.

وجرى حديث عن إمكانية التبادل الثقافي والاقتصادي بين كل من ألمانيا والعراق، وعلى وجه الخصوص النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، نظرًا لما تنعمان به من استقرار أمني قياسًا إلى غيرهما من المحافظات، وعن البرامج المعدّة في ألمانيا، لاستقبال الطلبة والأساتذة العراقيين.

وهذا ما سعت له"المؤسسة"، على هامش تعريفها بواقع الحوزة العلمية وما تشهده من انجلاء دورها الريادي الأصيل في تكوين المشهد الثقافي والفكري في المجتمع العراقي والعالم الإسلامي، لاسيما بعد زوال بهيم الليل البعثي الحالك، الذي حاول التعتيم على ذلك الدور قرابة ثلاثين عامًا ولم يفلح.

وكان لسانُ حالِ المرجعيةِ الرشيدةِ والحوزةِ العلميةِ في النجف الأشرف قولًا واحدًا، سددتا ضريبته قوافلَ من الشهداء العلماء الأعلام: (فو اللّهِ لن تمحوَ ذِكرَنا)!.

## في رحاب بابل

ولم يفت "المؤسسة" أن تضع في حسبانها تنظيم زيارة لضيوفها الألمان، إلى محافظة الحلة وعاصمتها المعروفة (بابل) لذيوع صيتها عالميًا بين المهتمين بدراسة التاريخ والآداب والقوانين والحضارات الإنسانية، ولما لها من وقع في نفوس الباحثين في آثار الشعوب ذات الحضارات العريقة. والذين قلما تجد فيهم من لم يسمع عن شريعة

حمورابي، ويعرف، في المقابل، أن الحلة نفسها احتضنت حوزةً علمية طيلة أربعة قرون (من القرن الخامس عشر إلى التاسع عشر)، ظلت فيها مصدرًا لنهضةٍ علمية وأدبية وفكرية، ونبغ فيها كثيرٌ من العلماء، أمثال ابن إدريس الحلي، وابن زهرة، والمحقق الحلي، والعلامة الحلي، والسيد عبد الكريم بن طاووس صاحب (فرحة الغري) وأضرابهم، وأن حوزة الحلة أنتجت الكثير من الكتب والمؤلفات والرسائل الفقهية والأصولية والكلامية والحديثية والرجالية، وأنها ضمت مكتبة ضخمة احتوت آلاف الكتب.

فكانت زيارة ميدانية للضيوف، إلى المواقع الأثرية القديمة لمدينة بابل الأثرية، بعدها جرى لقاء مع سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الخمايسي وكيل سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله) في مدينة الحلة، والمحافظ السابق وجمع من أساتذة جامعة بابل، وتولّى سماحة الشيخ الخمايسي الحديث، بعد الترحيب بالضيوف نيابة عن المفكرين والأساتذة والمسؤولين في سلطة بابل المحلية، والتعريف بالحاضرين، استهله بالتذكير بالتراث العربي الكبير الذي تحتويه المكتبة الوطنية في مدينة برلين الألمانية والذي يقارب العشرة آلاف مخطوطة عربية، مفهرسة في عشَرة مجلدات، حيث بذل العلماء الألمان جهودًا طيبة في استنقاذ آلاف المخطوطات العربية وحفظها، لا بل تحقيقها وطبعها ونشرها، وأشار سماحته إلى انفتاح العراقيين بنخبهم الفكرية على المفكرين الألمان ونتاجهم الفكري، منذ أيام الحرب العالمية الثانية، والذي سبقه بكثير، انفتاح الحوزة العلمية، بعلمائها ومراجعها. ونوه سماحته بأسبقية الألمان في تأليف المعاجم والفهارس، مثل جهود فلجن وهانس فير وبروكلمان، التي تعتبر جهودًا جبارة، وفي كتابتهم معجمًا مفهرسًا لألفاظ القرآن الكريم، ومعجمًا مفهرسًا لألفاظ الحديث النبوي الشريف، ومعجمًا للشواهد العربية، وعلى مستوى التأليف المستقل البعيد عن التحقيق والتراث كتب بروكلمان تاريخ الأدب العربي في ستة أجزاء، وتاريخ الشعوب الإسلامية، وصارت كتابات الألمان مراجع لكتابات العرب والباحثين في شؤون التاريخ والتراث العربي.

وحث سماحته الأكاديميين الألمان على إعادة التواصل مع الشعوب الإسلامية، والمساهمة في إحياء التراث العربي والإسلامي، حيث لا توجد لدى الشيعة حساسية تجاه المدرسة الاستشراقية الألمانية، بسبب عدم وجود ماضٍ

استعماري ألماني في بلادنا.

## الضيوف في لقاء مع محافظ النجف

وبعد عودتهم مجدداً إلى النجف الأشرف نظمت لجنة العلاقات العامة في المؤسسة لقاءً لأعضاء الوفد مع محافظ محافظة النجف الأشرف الأستاذ عدنان الزرفي، في مبنى المحافظة بحضور عدد من الأكاديميين العراقيين.

## استنفار أكاديمي في جامعة الكوفة

أكاديميون من ثلاث جامعات توافدوا، للانضمام إلى زملائهم في كلية الفقه في جامعة الكوفة، من أجل المشاركة في اللقاء العلمي الذي دعت إليه "المؤسسة"مع ضيوفها، فتفضل إلى تلبية الدعوة أساتذة أفاضل من جامعات القادسية وواسط وذي قار، ورحب بهم عميد كلية الفقه الدكتور علي سميسم، وبوفد المؤسسة الذي تشرف بحضور سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد رياض الحكيم.

وأدلى البارون باول بمداخلة رحب فيها بفتح صفحة جديدة من العلاقات العلمية بين جامعات العراق، وجامعة جوتنج الألمانية التي تضم دراسات عن العالم العربي منذ ثلاثمائة سنة.

أما الدكتور علي وتوت الأستاذ المساعد في كلية الآداب في جامعة القادسية، فقد عبر عن أمله في الاستفادة من التجربة الألمانية في كيفية بناء الإنسان الألماني بعد الحرب العالمية الثانية للاستفادة منها في العراق.

## ورئيس جامعتها يستقبلهم

بعد ذلك استقبل رئيس جامعة الكوفة الدكتور عقيل عبد ياسين، الوفد الأكاديمي الألماني الضيف، وجرى الحديث عن آفاق

التعاون بين جامعة الكوفة والجامعات الألمانية في المجالات العلمية والتقنية، والبحوث والدراسات الإسلامية، ودراسة الآثار، لاسيما أن العراق غني بالمواقع الأثرية التي لم تكتشف إلى الآن، وللأكاديميين الألمان خبرة واهتمام في مجال الحفريات والتنقيب عن الآثار. وعبر الجانبان أيضًا عن رغبتهما في إقامة مؤتمرات علمية مشتركة، وبحثوا في آليات التواصل، وتهيئة مذكرة تفاهم.

## مع رجال القانون في جامعة الكوفة

والتقى الوفد بالدكتور علي حمزة عسل الخفاجي عميد كلية القانون في جامعة الكوفة، وعدد من أساتذة الكلية.

ورحب بالتعاون بين كليته وجامعات ألمانيا، أسوة بما حصل مع بعض الجامعات السويدية والهولندية.

## د. ابتسام المدني وترحيب بالضيوف

كما التقى الوفد بالدكتورة ابتسام

عبد الكريم المدني، عميدة كلية التربية الأساسية في جامعة الكوفة، التي رحبت بالوفد الضيف، واستعرضت ظروف تأسيس الكلية.

وجرى حديث عن تطوير مناهج التدريس في الكلية على ضوء تعليمات وزارة التعليم العالي، لمواكبة الأساليب العلمية الحديثة في الدول العربية والغربية، وعن متطلبات الكلية لتقوية المناهج وطرائق التدريس.

## تساؤلات أكاديمية وأجوبة حوزوية

ونظمت "المؤسسة" لقاء تعارف لوفدها الضيف، مع الهيئة العلمية لمؤسسة شهيد المحراب في النجف الأشرف، وجرى في اللقاء الذي حضره عدد من العلماء الأفاضل حوار علمي صرف، تناول المناهج الدراسية في حوزة النجف الأشرف، وأوجه التقارب والافتراق بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام في فهمها للإسلام وغيرها من المدارس، والفارق بين القياس والاجتهاد، ونظرة الإسلام للاجتهاد وغيرها من القضايا.

## سماحة المرجع الديني الكبير لضيوفه الألمان علينا حفظ الترابط الاجتماعي بين الأديان

ثم قام أعضاء الوفد الأكاديمي الألماني بزيارة سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله) في مكتبه في النجف الأشرف.

وبعد الترحيب بالضيوف، تفضل سماحته بالتعريف بتراث أهل البيت عليهم السلام، وشرح الأسباب التاريخية التي أدت إلى تغييبه والتعتيم عليه بين المسلمين، وعالميًا، وشجع سماحته على الاتصال بالحوزة العلمية، ومعاينة وضعها الثقافي، كمقدمة للاطلاع المباشر على تراث أهل البيت عليهم السلام، واستقاء المعرفة من معينهم، وفهم منهاجهم في الأخلاق والسلوك، لاسيما بعد رفع القيود الجائرة التي كانت مفروضة على النجف الأشرف، ومؤسستها الدينية المتمثلة بمرجعيتها وحوزتها العلمية، طيلة العقود الماضية. وأكد سماحته أن مكتبات النجف الأشرف مفتوحة لجميع الباحثين الراغبين بالاطلاع

على الميراث العظيم الذي خلفه آل البيت عليهم السلام للإنسانية جمعاء.

كما تحدث سماحته عن التراث المشترك للنبوات والأنبياء، الذي حافظ عليه أهل البيت عليهم السلام وصانوه من التحريف والتشويه طيلة أربعة عشر قرنًا، وعانوا ما عانوه من ظلم وجور لأجل ذلك. ودعا إلى حفظ الترابط الاجتماعي بين أتباع الأديان كافة.

ونوه سماحته بالتأييد الشعبي الذي تحظى به المرجعية الدينية، وصلتها الوثيقة بالجماهير، وتماهيها مع هموم الشارع وبسطاء الناس، من مختلف الأديان والمذاهب والأعراق التي تعيش على هذه الأرض الطيبة، والضوابط الشرعية التي تحكم العلاقة بينها وبين السلطة السياسية الحاكمة، إلى درجة أن المرجع الديني في النجف الأشرف لا يتميز عن المواطن العادي، حتى في جواز سفره الذي يتنقل به، كما في بعض البلدان التي يتمتع فيها المفتي بجواز سفر خاص ومميز.

وقد عبر أعضاء الوفد الأكاديمي الألماني في نهاية اللقاء، عن شكرهم العميق لسماحة المرجع الديني الكبير على استضافتهم، وما أضافه إليهم من معرفة، وأبدوا إعجابهم بحكمته وغزارة علمه، وتمنوا للنجف الأشرف المضي قدمًا نحو مستقبل أفضل في ظل الحرية التي تنعم بها، وإمكانات التطور التي تمتلكها.

ثم قدّم البارون باول باسم الوفد هدية لسماحة السيد، هي كتاب عن مدينة برلين العاصمة الألمانية.

## الوفد في النجف يوم حافل بالزيارات

لابد للقادم إلى مدينةٍ يفوح منها عبقُ التاريخ والحضارة، تقدمهما إلى زوارها

بباقةٍ من الودّ والبساطة والأريحية، أن يتجول في شوارعها وأزقتها، متعرفاً إلى معالمها. وإذا كان من عشاق المعنى، وممن يُبهره جوهرُ الأشياء لا عوارضُها، فإنه حتماً سيلامس بروحه أجواءَ السكينة والطُمَأْنينة التي تخيِّم على مدينة النجف وتحفُّ بها، وتحتضنها كغمامةٍ حانية، فتكتب حكايةً شائقةً في كل ركن، وكل زاوية، وكل زقاق من أزقتها القديمة.

كانت جولة حرة للوفد الضيف في المدينة القديمة، عرجوا بعدها إلى مسجد الهندي، واطلعوا على الحلقات الدراسية الحوزوية المنعقدة فيه والتي يزهو بها المسجد، كما زاروا مقبرة مرجع الطائفة الإمام الحكيم، والسوق الشعبية (سوق الحويش) الواقعة خلف المسجد وعاينوا المكتبات التي تملأ هذه السوق.

ثم إلى مكتبة الإمام الحسن العامة، وإلى دائرة شؤون المرأة أيضًا في مؤسسة شهيد المحراب.. واطلع الوفد الضيف على ما تحظى به الأمومة والطفولة من رعاية واهتمام من المؤسسات الدينية النجفية، وما للمرأة المؤمنة من مكانة هامة في المجتمعات الشيعية، تجعلها على قدم المساواة مع أخيها الرجل في بناء المجتمع وصياغة عبارات تقدُّمِهِ نحو مستقبل أفضل.

وأخيرًا إلى مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية، ومؤسسة اليتيم الخيرية التي يشرف عليها ويرعاها مكتب سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله)

## لقاء مؤسسات المجتمع المدني النجف تفاجئ زائريها

وعلى هامش زيارتهم، جرى تنظيم لقاء للضيوف مع مؤسسة شهيد المحراب ومنظمات المجتمع المدني في المحافظة، لغرض التعارف وتبادل الآراء بما يؤسس لعلاقة مستقبلية تنعكس على الواقع الثقافي للمحافظة.

وتحدث أعضاء الوفد عن الفائدة التي جنوها من لقاءاتهم بالعلماء الأفاضل في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، حيث تضاعفت فرصهم في معرفة الآخرين وتحليلهم للمشاكل.

و تحدثت الدكتورة أنغرد هايمر، قائلة: "أنا سعيدة في النجف الأشرف، وسعادتي تضاعفت اليوم بلقائي بالأخوات. حقيقةً أنا متفاجئة اليوم مما تمتلكه النجف من مراجع كبار ومؤسسات ونشاطات حيوية وثقافية، وهذه الصورة كانت مغيبة عنا في الخارج. أتمنى في المستقبل زيارات متكررة".

## الأمين العام لمؤسسة الحكمة في وداع هاخمايز

وفي ختام زيارته للنجف الأشرف، جرى للدكتور كلاوس هاخمايز الذي تأخرت عودته إلى بلده عن زملائه عدة أيام إضافية، حفل وداعي، التقى خلاله بسماحة السيد عبد الحسين القاضي، الأمين العام لمؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية. وتقدم الدكتور كلاوس بشكره للمؤسسة على الفرصة التي أتاحتها له ولزملائه في الوفد للاطلاع الميداني على واقع الشيعة، ودورهم في المجتمع والسياسة والدين، بعد أن كانت هذه المعرفة تقتصر على المعلومات النظرية فقط، وتصطدم بمعوقات تحول دون الاطلاع الكافي على ذلك الدور، ومنها الحصار الذي كان مفروضًا عليهم من النظام السابق، والذي دام أكثر من ثلاثين عامًا.

وأوضح د.كلاوس أن الأصول العلمية للشيعة في الدراسات الألمانية متوفرة بكثرة، لكنها تركز على حقبة محددة من التاريخ، هي فترة القرون الوسطى، وتفتقر مع الأسف إلى معلومات عن تطور الشيعة اليوم، وكيفية بنائهم لنظامهم التربوي، وغيرها من الأسئلة المهمة.

ثم أجاب سماحة السيد القاضي عن جملة من التساؤلات التي أثارها د. كلاوس، وأوضح له أن المؤسسة الدينية الشيعية لا تسعى إلى التدخل بالسياسة إلا بالقدر الذي تساند فيه المجتمع لتحقيق العدالة والحفاظ على الاستقرار، وأن المرجعية الدينية في النجف الأشرف لا تطمح إلى إنشاء دولة لأنها في الوقت الذي لم تسمح الأدلة الشرعية بذلك حسب القناعة الاجتهادية، تعلم تعذّر ذلك نظرًا لترتب مظالم لا يمكن ردها، فالإسلام الحقيقي لم يتولَّ السلطة السياسية، من وجهة نظر المؤسسة الشيعية، منذ وفاة النبي محمد ﷺ، إلا مرة واحدة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، ولمدة لم تتجاوز الأربع سنوات ونصف السنة تقريبًا، ويصعب على أي أحد محاكاة هذا النموذج الذي عزَّ نظيره، إلا في حالة واحدة لم يأت زمانها بعد.

وعن مساهمة المؤسسة الدينية في التطور الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع، أوضح سماحته، أن المرجعية الدينية لا تنفق أموالها إلا لمصلحة الشعب المؤمن وبحسب الضوابط الشرعية، وأن المال بالنسبة لها وسيلة من وسائل نصرة المبادئ وتقويتها. ولقد ساهمت المرجعية أيام الحصار الذي تعرض له العراق سابقًا وفي هذه الأيام إلى تخصيص الرواتب لآلاف العوائل الفقيرة والأيتام، دون أن يواكب ذلك حملة إعلامية أو دعائية، لأن ذلك مخالف لأعرافها وأخلاقها.

وفي نهاية اللقاء، صرح الدكتور كلاوس بأن "هذا يعتبر جديدًا بالنسبة لنا وقد تعلمناه في زيارتنا هذه، فالشيعة مذهب ديني يتمحور حول قيم سامية ومثل عليا، ومبادئ إنسانية راقية، ومؤسساتكم الدينية فيها ثقافة، ورعاية للأيتام، وتأكدت في زيارتي هذه أيضًا أن للشيعة أهدافًا إنسانية عظيمة، وهم مفكرون ومثقفون وطيبون".

وكرر شكره باسم زملائه في الوفد لسماحة السيد عبد الحسين القاضي، وسماحة السيد صالح الحكيم، وجميع أعضاء مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية واعدًا بدوام التواصل بعد عودته، مع الفعاليات الثقافية في النجف الأشرف لمتابعة ما حصل الاتفاق عليه أثناء الزيارة ■

# آية اللّه الشيخ
# عبد الرضا الطفيلي النجفي
## لمحة من مسيرة علم

الشيخ عقيل علي الزبيدي •

ينابيع

إن من دواعي الفخر والاعتزاز أن يرصع تاريخنا رجالٌ شقوا سبيل الأمجاد فتناولوها بكل يد مبسوطة، ولكن من المؤسف أن يقبر أولئك مرة ثانية في لحود النسيان، مع أن الواجب علينا هو إظهار آثارهم عرفاناً منا بما قدموا، ومن هؤلاء الأعلام الأستاذ المبتكر والفقيه المتبحر والصالح الورع آية اللّه الشيخ عبد الرضا الطفيلي النجفي الذي سنترجم له في ما يلي مع اعتراف منا سلفاً بالقصور عن تأدية كامل حقه لكثرة العوائق والأشغال.

### اسمه ونسبه

هو الشيخ عبد الرضا بن شويرد الطفيلي النجفي (رحمه اللّه)، نسبة إلى (طفيل) وتلفظ بلسان العامة (إطفيل) من قبائل

العراق الفراتية الكبيرة، (وهي قبيلة شهيرة في الهندية)[1]، قال القزويني: (وربما ينسبون إلى (طفيل) من بني عبد الله بن غطفان كان يتطفل على العرائس والولائم)[2] ولم أجد لقوله هذا مستنداً سوى ما ورد في لب اللباب من أن (الطفيلي: هو الذي يدخل الولائم والمآدب ولم يدع إليها نسبة للطفيل بن زلال الكوفي كان يدعى طفيل الأعراس أو العرائس ويأتي الولائم بلا دعوة)[3]، وهم من العشائر الأصيلة في الفرات الأوسط، قال في أنساب الأشراف: (ومن بني عبد الله بن غطفان: طفيل العرائس الذي ينتسب إليه الطفيليون وهو كوفي)[4]، قال الشيخ الطهراني: (وآل الطفيلي من الأسر المعروفة في النجف الأشرف، وهم من فخذ يقال لهم (آل شعيب) منازله في الجانب الشرقي من الفرات، لم يعرف تاريخ هجرتهم إلى النجف، ويغلب على الظن أن المترجم له أول من هاجر إلى النجف، فاسم أبيه اسم قروي مما يدل على حياته في الخارج، فلو عاش في مدينة متحضرة لكان له غير هذا الاسم)[5]، وهذا التعليل من قبل الشيخ لعله غير مطرد فكم من مدني سمي بأسماء قروية، وكم من قروي سمي بأسماء أهل المدن، ثم إن الثقافة والمعرفة لا تحدّان بمكان دون مكان.

## ولادته ونشأته

لا يعرف تاريخ ولادته ولا محلها، ولكن

بالاستناد إلى قول الشيخ الطهراني يرجح كونه (رحمه الله) ولد في معاقل طفيل في الهندية وما جاورها.

## تحصيله

إن من غير المعروف تاريخ شروعه بالدرس، وقد ذكر في موسوعة طبقات الفقهاء ما لفظه: (اجتاز بعض المراحل الدراسية)[٦]، وهل ترك البعض الآخر؟ هذا ما لم أقف عليه في ما تيسر من المصادر التي ترجمت له ، ولا أدري ما الوجه في ما ذكر في هذه الموسوعة الشريفة!

## أساتذته

تتلمذ الشيخ المترجم (رحمه الله) على علمين من أعلام الفقهاء الشيعة في العصور المتأخرة وهما:

١ـ آية الله الشيخ محسن خنفر العفكي (قدس سره) (ت١٢٧٠هـ)[٧].

٢ـ آية الله الشيخ محمد حسين ألكاظمي (قدس سره) (ت ١٣٠٨هـ)[٨].

وقد شهد باجتهاده وأجازه (وكان من عمد أصحابه وزعماء حوزته الكريمة)[٩].

## فضله

كان (رحمه الله) فقيهاً بارعاً وعالماً جليلاً متبحراً، له آثار تدل على تضلعه وتحقيقه وخبرته الواسعة[١٠]، قال الشيخ حرز الدين: (وكان فاضلاً عالماً تقياً معروفاً بالصلاح، مشهوراً في الحلقات العلمية والأدبية في النجف، عاصرناه وسمعنا حديثه، شيخاً محترماً تجله الأكابر وتحترمه أساتذتنا وترى له المكانة الرفيعة من الفضل والاجتهاد، وكان قليل الاتصال بالناس آخر أيامه، يجتمع بفريق خاص من أهل الفضل، حدثنا الأستاذ الميرزا حسين الخليلي الرازي أن الشيخ محمد طه نجف أستاذنا حضر على الشيخ الطفيلي وأثنى عليه بما لا مزيد عليه، ومن ثنائه أنه كان ماهراً في علم العربية بل كان متخصصاً به، وله مسلك في تدريس الفقه غريب جداً، انتهى، وكان منعزلاً عن الجماهير فلم يشتهر وكان حقه الاشتهار)[١١]، (وكان له مجلس بحث في النجف الأقدس في حياة أستاذه العلامة وكان وجيها مقبولا)[١٢].

## تلامذته

ممن تتلمذ عليه الفقيه الورع الشيخ محمد طه نجف (قدس سره) (ت ١٣٢٣هـ) وغيره.

## مؤلفاته

كتب (رحمه الله) دروس أساتذته فقهاً وأصولاً، وله: شرح الاستبصار للشيخ الطوسي (قدس سره) قال عنه الشيخ الطهراني:(في عدة مجلدات الأول والثاني في الطهارة المائية، وأول المجلد الأول خطبة مختصرة إلى قوله: هذا من مصنفات عبد الرضا الطفيلي، قال الشيخ الطوسي (قدس سره) كتاب الطهارة أبواب المياه وأحكامها، باب مقدار الماء الذي لا ينجسه شيء، أخبرني الشيخ.. إلخ، ثم شرع في ترجمة الشيخ المفيد ثم من روى عنه، وهكذا تكلم في أحوال كل واحد من سلسلة رجال هذه الرواية، وبعد الفراغ من البحث في سند الرواية يتكلم في دلالتها، وينتهي هذا المجلد إلى مبحث جواز المسح على الخف تقية، وآخره:

هــذا خلاصة الــكلام في تصحيح إســناد الاستبصار .. إلخ، وهو بخط المصنف فرغ منه في يوم الخميس ٢٥ ذي القعدة (١٢٧٨ هـ)، وابتدأ في المجلد الثاني بباب المسح على الجبائر إلى آخــر ما يتعلق بالوضوء، وآخــره: ويتلــوه الكلام فــي التيمم، وهو بخطه أيضاً فرغ منه في يوم الخميس رابع جمادى الثانية (ســنة ١٢٧٩ هـ)، والمجلد الثالث فــي الطهارة الترابيــة فرغ منه في الثلاثين من جمادي الثانية (سنة ١٢٨٠ هـ) وهو في (مكتبة الشــيخ محمــد رضا فرج الله) في النجــف، وكتب في الصلاة أربعة مجلــدات (١) في مبحــث الوقت إلى آخر أفعــال الصلاة (٢) في الســهو والخلل (٣) في الصلوات المســنونة إلــى أواخر كتاب الصوم، وقد فرغ منه في ١٥ شهر رمضان ســنة (١٢٨٢ هـ) وهو في (مكتبة الشــيخ محمــد رضا فــرج الله) أيضــا)[١٣]، وقال الشــيخ قال صاحب (معجم رجال الفكر): (خمس مجلــدات بخطه فرغ مــن المجلد الخامــس بتاريخ ١٥رمضــان ١٢٨٢وكانت كتابته جــداً جليلة متينة تعطــي لمن أمعن النظر إليهــا زيادة فضل مؤلفها وغوره في الجمع بين الأخبار وحسن الاستنباط)[١٤]، وله شــرح على كتاب شرايع الإسلام أحد عشــر مجلداً، ألف شــرح المعاملات منه في ١٥ ســنة مــن (١٢٩٠ – ١٣٠٥)[١٥]، قال الأميني نقلاً عن حرز الدين: (وكانت آثاره العلمية عند الشــيخ ابن نجف (حفظه الله) حيث كان وصياً عنه[١٦]، وله دار في النجف ومكتبة صارت أيام الشيخ محمد إليه وبعده بيد حفيــده وكان الــكل وقفاً بيــد زوجته الكبــرى ثم الصغرى ثــم للأفقه من علماء النجف يتولاهــا[١٧]، وكان من مبرزي أئمة الفقــه والأصول وأســاتذة الفقه والحديث والتفســير وقد عرف فــي عصره بالإلمام العريض والفهم الثاقب[١٨].

## وفـــــاته

ذكر أنه توفي نحو(١٣٠٦)[١٩] وهذا القول لا وجه له، كما ذكر في (مرآة الشــرق) أنه توفي في سنة (١٣٠٨)[٢٠]، وذكر حرز الدين أنه توفي (حدود سنة (١٣٠٥هـ) حيث كانت وفاته قبل وفاة أستاذه الكاظمي بسنتين أو ثلاثة كما ذكر ذلك بعــض أرحامه، ومات الشيخ (رحمه الله) ولم يعقب وكان عقيماً)[٢١]، ولعل التقريب الــذي ورد في معارف الرجــال هو الأقــرب، لمعاصرة الشــيخ لشيخنا المترجم (رحمه الله) ■

---

(١) أنســاب القبائل العراقية:٨٦، عشــائر العراق ٣٥٤/١.
(٢) أنساب القبائل العراقية:٨٦.
(٣) لب اللباب في تحرير الأنساب:٩٩/١.
(٤) أنساب الأشراف:٢٦٨/٤.
(٥) نقباء البشر: ١١٢٢-١١٢٣.
(٦) موسوعة طبقات الفقهاء:٣٤٦/١٤ رقم(٤٦٢٦).
(٧) معارف الرجال: ٥٥/٢.
(٨) معارف الرجال: ٥٥/٢.
(٩) مرآة الشرق: ٧٣٧/١.
(١٠) نقباء البشر:١١٢٢-١١٢٣.
(١١) معارف الرجال: ٥٤/٢-٥٥.
(١٢) مرآة الشرق: ٧٣٧/١.
(١٣) الذريعة: ٨٤/١٣-٨٥.
(١٤) معجم رجال الفكر:٨٥٢/٢.
(١٥) الذريعة: ٨٤/١٣-٨٥.
(١٦) معجم رجال الفكر:٨٥٢/٢.
(١٧) معارف الرجال:٥٤/٢-٥٥.
(١٨) معجم رجال الفكر:٨٥٢/٢.
(١٩) موســوعة طبقــات الفقهــاء: ٣٤٦/١٤ رقــم (٤٦٢٦).
(٢٠) مرآة الشرق:٧٣٧/١.
(٢١) معارف الرجال: ٥٥/٢.

# الشيخ علي اليزدي الحائري

## صاحب كتاب (إلزام الناصب)

د. سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

أولد العالم الإسلامي والعربي مفكرين ورجالاً أكفاء كان لهم دور فاعل في حركتنا الفكرية والاجتماعية، ومنهم من قضى نحبه وغادر الحياة وبقيت أفكاره، ومنهم لا يزال يعيش بين ظهرانينا ولهم علينا حق الدرس والمراجعة، وإننا نرى في درسهم خدمة لواقع الفكر الإسلامي عامة والفكر الشيعي خاصة. ومن بين هذه الشخصيات العلمية التي اكتسبت شهرة ونالت مكانة عالية في المجتمع شخصية الشيخ علي بن زين العابدين اليزدي الحائري، فهو عالم جليل محدث صالح ورع أتيحت له الفرصة ليصيب من العلم أوفر نصيب سمح به زمانه، وأوتي من الذكاء وبُعد الفهم وقوة الذاكرة وبلاغة اللسان ما كان كفيلاً بأن

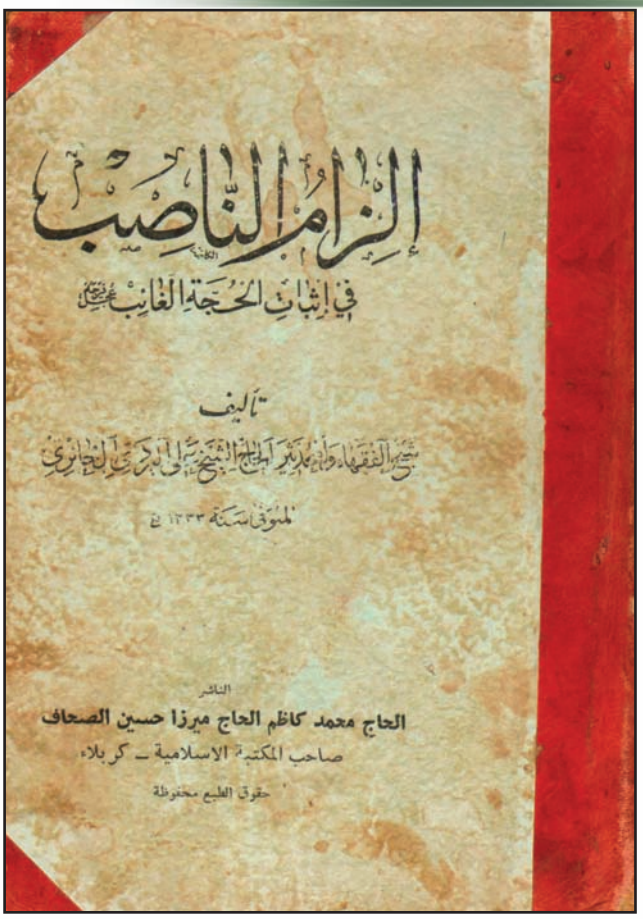


يهيئ له حياة سعيدة أو مستقرة على أقل تقدير. لقد كان في مقدمة علماء القرن الرابع عشر وعياً وثقافة وتصنيفاً وسعة اطلاع، فكان نسيجَ وحدِه في الفضل والعلم، ومعرفة تامة بالفقه والأصول، كما عرف بعمق إيمانه وصدق عقيدته. أدى دوراً بارزاً في الدعوة إلى الله والتمسك بمبادئ أهل البيت عليهم السلام وإرشاد الناس وتوجيههم إلى الصراط المستقيم والعمل الصالح. وفاقت عناية المحدثين بالشيخ علي عناية الأقدمين، فتبينوا من فضائله كعالم وكاتب وصاحب فضل جمع فأوعى، وجعل صدره من العلم وبتاريخ الإسلام ما لم يصل إليه إلا القلائل.

## سيرته ومنهجه

لم يشر أحد المؤرخين إلى سنة مولده، فالمعلومات التي وصلتنا عن هذه المرحلة قليلة نسبياً.

ذكره شيخنا آغا بزرك الطهراني فقال: هو الشيخ علي بن زين العابدين البارجيني اليزدي الحائري المعروف بالشهرنوري، عالم متضلع وفاضل متتبع، كان من الأجلاء المشهورين في كربلاء، وكانت له مكتبة كبيرة فتح لها باباً خارج بيته وعَرَضها لفائدة الناس وأهل الفضل فكانوا يرتادونها ويستفيدون منها، وقد كنت أطيل المكث فيها لدى تشرفي لزيارة

الحسين عليه السلام. توفي سنة ١٣٣٣هـ ودفن قرب رجلي العباس عليه السلام، وله آثار منها (السعادة الأبدية في الأخبار العددية) وقد اختصره وسماه (روح السعادة) وطبع سنة ١٣٣٠هـ و(بحر الغموم) و(تواريخ الأنبياء) إلى المهدي المنتظر عجل الله فرجه في ثلاثة مجلدات و(تبصرة المتهجدين) طبع و(حدائق الجنان) و(منظومة في الفقه) و(إلزام الناصب في أحوال الإمام الغائب) كان بخطه عند وصية المولى محمد حسين القمشهي الصغير، وقد أوصى بطبعه من ثلث ماله، وقد نشر في سنة ١٣٥٢هـ وترجم له ولده الميرزا علي أكبر فيه وذكر أنه فرغ من تأليفه في سنة ١٣٢٦هـ وقد أعيد طبعه أخيراً أيضاً[١].

وذكره السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي في كتابة (أحسن الوديعة) فقال: إن الشيخ إبراهيم اللنكراني تتلمذ في بادئ أمره في كربلاء المشرفة على العالم الماهر الشيخ علي اليزدي المذكور في ص٢٢٤ س١٢ من العمود الأول من المآثر والآثار.

وكان رحمه الله من أئمة الجماعة في كربلاء المشرفة، ثم حضر على شيخنا العلامة الفاضل الأردكاني رحمه الله ثم انتقل إلى الغري السري وحضر بحثي الفاضل الأيرواني والعلامة الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي رحمهما الله وحضر درس الفاضل الشربياني رحمه الله أيضاً وهو مجتهد بارع تشير إليه الطلبة بالأصابع ويعظمونه في جميع المجالس والمحافل[٢].

نشأ في كربلاء، وصار يختلف إلى أنديتها ويغشى مجالس علمائها، وتيسرت له الفرصة أن يعمل ويجد بصمت، فكان عالماً جهبذاً خدم الإنسانية بأفعاله وأقواله وأدهش أرباب التقاليد بحسن مثاله، فكان الناس يأنسون بخطواته وإقباله، درس على أفاضل كربلاء وأعلامها في الحوزة العلمية، فحذق العلوم وأحسن التأليف والتصنيف وتفوق على الآخرين بحسن الإدراك، فبلغ مكاناً علياً في سيره وسلوكه، وكانت دراسته على الفاضل الأردكاني والشيخ زين العابدين المازندراني والسيد محمد حسن المرعشي الشهرستاني والسيد زين العابدين الطباطبائي والشيخ محمد حسين الأردكاني وغيرهم، ولم يكتف هذا الشيخ المقدس بدراسته للفقه والأصول، بل وسع الدراسة لتشمل فنوناً متعددة وعلوماً أخرى لها شأنها في تربية ملكة العلم والذوق الرفيع، فدرس الرجال والتاريخ والأدب حتى صار أستاذاً متميزاً من أساتذة مدرسة بادكوب الدينية التي تقع في زقاق الداماد، هذه المدرسة التي حملت لواء الدفاع عن بيضة الإسلام والدين الحنيف. وكان الشيخ المترجم يشكل ركناً هاماً حيث يرفدها بفكره الروحي والفكري والتزامه وممارسته للتدريس والفتيا بصدقٍ وتفانٍ على مستوى القول والعمل، هذه الخصال منحته قوة الشخصية وصلابتها، وراح الكثير من المؤرخين يكتب عن منجره الإبداعي وسماته، وعن هذا العطاء الذي يمتد جذره إلى المنبت الطيب الذي ينتمي إليه. ثم هاجر إلى النجف فحضر درس الفاضل الأيرواني والميرزا حبيب الله الرشتي والفاضل الشربياني وغيرهم، بعد ذلك عاد إلى كربلاء ليمارس عمله الفكري.

## مكتبته

أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره ممن كانت له صلة به، أنَّ

للشيخ علي مكتبة عامة[٣] كبيرة مجاورة لمسجده الذي يقيم فيه صلاة الجماعة بمحلة العباسية الشرقية بكربلاء، وهي خزانة كتب حاوية لنوادر المطبوعات، وفيها أغلاق نفيسة من الكتب الخطية، كما يقوم بطبع الكتب ا لإسلامية القيمة النادرة، وقد بادت هذه المكتبة وتفرقت مخطوطاتها.

## مسجد الشيخ علي المقدس

يقع هذا المسجد على شارع الإمام الحسن عليه السلام في محلة العباسية الشرقية، أسسه العلم الشيخ علي في حياته. توجد على باب المسجد كتيبة بالكاشي الكربلائي نقشت عليها الآية الكريمة (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**) أعاد تشييده ديوان الوقف الشيعي عام (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، والداخل إلى المسجد يجد على يمينه مرافق وحنفيات ماء، ثم يجتاز إلى ساحة صغيرة ومنها يدخل الحرم. أما على يسار الساحة فيوجد سلّم يفضي إلى الطابق العلوي، وفيه غرفتان إحداهما للمؤذن والأخرى اتخذت كمخزن، والحرم طوله (٧م) وعرضه (٤م) يتقدمه محراب، لا توجد كتابات عليه وتعلو المسجد مئذنة مصنوعة من المعدن، كان يقيم فيه الصلاة الشيخ علي مؤسس المسجد والشيخ محمد تقي المعرفة والشيخ علي المعرفة والشيخ محمد علي الخرساني والشيخ أحمد محمد رضا الحائري والشيخ محمد الركابي[٤].

## تلامذته

ممن روى عنه السيد شمس الدين محمود الحسيني المرعشي النجفي والد العلامة المرجع السيد شهاب الدين المرعشي الحسيني النجفي المتوفى سنة ١٣٣٨هـ، وتلميذه العلامة الحجة نظر علي بن إسماعيل الكرماني الواعظ صاحب كتاب (أنيس الأنام) المتوفى سنة ١٣٤٨هـ[٥] والشيخ إبراهيم اللنكراني وغيرهم.

## آثاره

ترك الشيخ علي رضوان الله عليه تراثاً علمياً زاخراً يضم كتباً ورسائل ومؤلفات ممتعة ومفيدة تشهد له بطول الباع، وهذه الآثار هي:

١- تاريخ الأنبياء.
٢- روح السعادة.
٣- تبصرة المتهجدين.
٤- حدائق الجنان.
٥- منظومة في الفقه.
٦- بحر الغموم.
٧- إلزام الناصب (جزءان).

وغير ذلك من المصنفات المفيدة، وحبذا لو يتصدى عشاق الكلمة لطبع هذه المؤلفات من جديد خدمة للتاريخ والعلم، ولتكون في متناول أيدي المسلمين قاطبة، خاصة أنها قد نفدت من الأسواق فترة طويلة.

## كتاب إلزام الناصب

إن أهمية هذا الكتاب تبدو واضحة من خلال أصحابنا الإمامية المشهور فيها والمتداول بين أيدينا، فهو يعطي الإسناد في حكم الأمة إلى دستور هو القرآن الكريم كتاب الله العزيز، حيث يعطي للحاكم نفسه ودولته مشروعية رسمية في إدارة المسلمين دينياً ودنيوياً.

جاء ذكر الكتاب في (الذريعة) وهذا نصه: إلزام الناصب في أحوال الإمام الغائب للشيخ علي زين العابدين البارجيني اليزدي الحائري المعاصر المتوفى سنة ١٣٣٣هـ وطبع في إيران أخيراً[٦].

وأصبح هذا الكتاب مرجعاً لا غنى عنه لدراسة حياة الإمام الحجة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، لأنه عالج فيه مباحث مهمة ولم يهمل ناحية معينة، طبع في مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط٢ بيروت سنة ١٤١٤هـ/١٩٨٤م عن نسخته التي بخط المؤلف بتاريخ المؤلف بتاريخ ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٦هـ.

أول الكتاب (اللهم يا من خصنا بحججه البالغة ونعمه السابغة ...) وفي آخره ما نصه (ولما كان شروعي في العاشر من شهر شوال التالي من شهر الصيام فصار أربعين يوماً من الشروع إلى الختام والحمد لله أولاً وآخراً وكان فراغي من تبييض الثاني بعد التسويد الخامس والعشرين من شهر شوال المكرم سنة السابع بعد الثلاثمائة وألف هجرية[٧] وقصارى القول إن المؤلف أجاد في كلامه على معتقدات الشيعة حول الإمام المهدي (عجل الله فرجه) ففي تضاعيف هذين الجزأين حقائق هامة صرف المؤلف في تدوينها شطراً من العمر، وقد أحاط بهذه الشخصية إحاطة تامة. استخدم في كتابته أسلوباً طريفاً ممتعاً، لما يمتاز به من حكمة بالغة ومعرفة تستحق الاستفادة، كما أنه كان لاستخراج الكتاب في وقته أثر كبير وواضح.

لا شك أن المرء يعرف بما أوتي من مواهب، وما ملك من قدرة، وما أدرك من صنعة، وهذه خير مقياس لها أثره، وما خلفه من علاقة مكينة بتفكيره، وما أبداه من رأي.

ينبغي الاعتراف هنا أن هذه الشخصية العلمية بحاجة ماسة لإماطة اللثام عن جوانب خفيه أخرى من سيرتها كما ينبغي على العاملين على دفع عجلة العلم إلى أمام بذل طاقاتهم في سبيل دعم آثاره وأن يحاط بالتقدير والتكريم، لأنه ساهم بقدرٍ كبير في طلب العلم والفضيلة ونقل الحديث والرواية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهو الغيور على الإسلام وأهله حتى أصبح آية في المرجعية والتقليد وإلقاء البحوث العالية لدرس بحث الخارج والفقه والأصول في الحوزة العلمية.

## وفاته

وافته المنية في مدينة كربلاء سنة ١٣٣٣هـ الموافق لسنة ١٩١٥م فشق نعيه على عارفي فضله، وكان يوم تشييعه مشهوداً، حيث شيع تشييعاً قلَّ نظيره إلى مثواه الأخير في حرم سيدنا العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وبالتحديد قريباً من جهة الرجلين ■

---

(١) نقباء البشر في القرن الرابع عشر/ الشيخ آغا بزرك الطهراني ١٤٤٢/١.

(٢) أحسن الوديعة في تراجم مشاهير الشيعة/ السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي ج١ ص١٧٩.

(٣) مخطوطات كربلاء ـ السيد سلمان هادي آل طعمة ج١ ص٣٣.

(٤) تاريخ المساجد والحسينيات في كربلاء ـ السيد سلمان هادي آل طعمة (مخطوط).

(٥) ترجمة المصنف ـ مقدمة كتاب (إلزام الناصب) ص٦.

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ آغا بزرك ـ تحقيق: محمد جواد الجلالي ج٢ ص٢٩٦.

(٧) فهرس التراث ـ محمد حسين الحسيني الجلالي ـ تحقيق: محمد جواد الجلالي ج٢ ص٢٦٩.

# الصحف والمجلات

## الصادرة في البصرة

## ١٨٨٩ - ١٩٦٢م

**الشيخ حميد البغدادي** •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

البصرة ثانية مدن العراق بعد العاصمة بغداد[1]، من حيث عدد السكان والأهمية الاقتصادية، وهي أهم المدن وأكبرها في القسم الجنوبي من العراق، والمدينة المركزية لمحافظة البصرة، ويسكن فيها نحو ٥٠٪ من مجموع سكان المحافظة.

البصرة أول مدينة عربية أُنشئت في العصر الإسلامي سنة ١٤هـ/٦٣٥م. بناها القائد عتبة بن غزوان لتكون مقراً للجيش الإسلامي. وكان موضع هذه المدينة القديمة يقع على مسافة ١٥كم غرب مدينة البصرة الحالية.

وفي بداية القرن التاسع الهجري/ الرابع عشر الميلادي، تحولت البصرة تماماً إلى خرائب، وهجرها ما تبقى من سكانها ليعيشوا في مدينة البصرة الجديدة أو في أماكن أخرى. انتقلت البصرة إلى موضعها الجديد، لتستمر فيه إلى وقتنا الحاضر.

(١) تقع مدينة البصرة على بعد ٥٦٠ كلم جنوب بغداد وعلى الضفة الغربية (اليمنى) لنهر شط العرب، الذي يتكون من التقاء نهري دجلة والفرات، ويصب في الخليج وتبعد البصرة عن هذا المصب مسافة ١١٠كم، وتقع على دائرة عرض ٣٠درجة و٣٠دقيقة شمالاً، وخط طول ٤٧درجة و٥٠دقيقة شرقاً. مناخها صحراوي حار، والأمطار فيها قليلة.

## الصحف

### ـ أ ـ

**١ـ صحيفة الآتي**

صحيفة أسبوعية عثمانية مستقلة باللغتين العربية والتركية[١] صدر عددها الأول في ٢٣ تشرين الأول سنة ١٩١٠[٢].

صاحب الامتياز ورئيس التحرير: عمر فوزي زاده الكركوكلي[٣].

المشرف على القسم العربي: عبدالقادر البغدادي.

كانت إدارة الصحيفة في محلة (السيف).

**٢ـ نشرة الأحد**

صدرت عن الكنيسة الكاثوليكية في البصرة عام ١٩٢١.

صاحبها: الأب يوسف كوكي.

**٣ـ صحيفة إظهار الحق**

كانت تصدر باللغتين العربية والتركية[٤]

صاحب الامتياز: قاسم جلميران الموصلي (جميدان)[٥].

رئيس التحرير: داود نيازي أربيللي

صدر العدد منها في ١٣ (وقيل ١) حزيران سنة ١٩٠٩، أغلقت في آيار سنة ١٩١٠ م بعد مرور عشرة أشهر على صدورها. على اثر مقتل صاحبها.

**٤ـ صحيفة الأوقات البصرية**

صحيفة يومية سياسية رسمية صدرت سنة ١٩١٥ حتى ١١ تشرين الثاني ١٩١٨.

كانت تصدر باللغات العربية والتركية والفارسية والإنكليزية.

مديرها المسؤول: سليمان الزهير.

ثم جعلها أهلية وبقيت حتى عام١٩٢١.

وفي سنة ١٩١٧ عند احتلال الإنكليز لمدينة بغداد صدر أمر بتعيين عطا أمين مديراً لإدارتها.

توجد أعداد منها في : مكتبة المتحف ومكتبة باش أعيان في البصرة.

**٥ـ صحيفة الإيقاظ**

سياسية عربية أسبوعية وإن صدر منها بعض الأعداد باللغة التركية

كانت أول صحيفة أهلية تصدر بعد إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨.

برز عددها الأول في ٢ آيار عام ١٩٠٩م.

---

(١) هي على نمط الصحف التي صدرت في المدن العراقية، بعد فترة إعلان الإصلاحات (مشروطيت) في ١٩٠٨، كانت تتألف من أربع صفحات وباللغتين العربية والتركية.

(٢) وقيل: صدر عددها الأول في ١٠ تشرين الأول ١٩٠٨ وعددها الأخير ٢٩ تموز ١٩١١. وقيل: أغلقت في ٢٣ تشرين الأول سنة ١٩١٢ م. ولعل الاختلاف في التواريخ هنا وفي غيرها من الإصدارات يعود إلى عدم توفر التوثيق في حينه.

(٣) وهو الشاعر الكركوكلي مكتوبي زاده عمر فوزي، ويعرف أيضاً باسم عمر فوزي كركوكلي زادة ، ولد في مدينة كركوك. والده محمد شاكر مكتوبي زاده بن ملا عبد الغني بن عبد الحميد. أحد المقربين إلى السيد طالب باشا النقيب.

(٤) هي الجريدة الرابعة التي صدرت في البصرة بعد فترة (المشروطية) الإصلاحية العثمانية.

(٥) وعمه الحاج إبراهيم الجميدان من العوائل البصرية القديمة في محلة المشراق.

صاحبها: المحامي سليمان فيضي الموصلي[1].

أشرف على تحريرها: الشاعر الكركوكلي مكتوبي زاده عمر فوزي.

كتب صاحبها في عددها الأول يقول: (حيث إن البصرة دون سائر البلاد العثمانية خالية من صحيفة تحرك همم ساكنيها وتنشر جميل ذكرها ، غير صحيفة الولاية (بصرة) وهي لانشغالها بالأمور الرسمية لا تلتفت إلي شيء من ذلك، بادرنا لإصدار صحيفة عربية أسبوعية معنونة باسم (الإيقاظ) تفاؤلاً بإيقاظها الوطن عن غفلة قادة وإنهاض به من حضيض وهادة).

تعطلت في أواخر تشرين الأول عام ١٩١٠ على أثر سفر صاحبها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج.

**٦ـ صحيفة الأيام**

صحيفة سياسية نصف أسبوعية

أصدرها: عبد الرزاق الناصري (ت١٩٤٦م).

صدرت في البصرة في ٤ كانون الثاني ١٩٣٠.

مديرها المسؤول: عبد الجليل برتو.

استمرت لثمانية أشهر فقط إثر انتقال امتيازها إلى بغداد.

**ـ ب ـ**

**٧ ـ صحيفة البريد**

صحيفة يومية سياسية مستقلة

صاحبها ورئيس تحريرها: عبد العزيز بركات

مديرها المسؤول: عبد الحميد المانع

استمرت بالصدور حتى عام ١٩٦٤ حيث تغير صاحبها فأصبح رجب عبد المجيد بركات، أما رئيس تحريرها فأصبح عبد السلام الشيخلي، ومدير التحرير علي حسين

**٨ ـ صحيفة البصرة**

أول صحيفة بصرية صدرت بعد صحيفة الزوراء في العهد العثماني

كانت الصحيفة الرسمية الناطقة باسم الحكومة وباللغتين العربية والتركية على أيام والي البصرة حمدي باشا

صاحب الامتياز: الدولة العثمانية.

رئيس التحرير: محمد علي أفندي

---

(١) يعتبر سليمان فيضي من أوائل الذين ارّخوا للصحافة العراقية في كتابه (في غمرة النضال) المنشور بعد وفاته.

جلبي زادة (محمد علي باشكاتب).

صدر عددها الأول في أوائل كانون الثاني ( ١٨٨٩ م ) واستمرت بالصدور لحين احتلال البصرة من قبل القوات البريطانية في يوم ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩١٤ م.

اهتمت بنشر الأخبار المتعلقة بولاية البصرة، والفرمانات والقرارات الرسمية، وأخبار المعارك في جبهات القتال. إضافة إلى أخبار النقل والتعيينات لموظفي الدولة ونشاطات البلدية.

**٩ـ صحيفة البصرة الفيحاء**

صدرت كبديل عن صحيفة (مرقعة الهندي)[1] في ١٠ آب ١٩١٠.

**ـ ت ـ**

١٠ـ صحيفة التاج

صحيفة يومية (وقيل: أسبوعية) سياسية عربية فكاهية ساخرة

صدرت في البصرة ٢٢ تموز ١٩١١.

صاحبها: محمد نجيب المشراقي.

استمرت بالصدور لمدة عشرة أشهر وأغلقت في أيار عام ١٩١٢.

اتبعت سياسة موالية لحزب الاتحاد والترقي، وكانت تطبع في مطبعة الولاية.

**ـ ث ـ**

**١١ـ صحيفة الثغر**

صحيفة يومية سياسية عامة

صاحبها ومدير تحريرها: شاكر النعمة

المدير المسؤول: المحامي عبد الجليل برتو، كانت تطبع في مطبعة التايمس بالبصرة. . استمرت بالصدور لعام ١٩٣٥م

**ـ خ ـ**

**١٢ـ صحيفة الخير**

صحيفة أدبية صدرت في البصرة

كانت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع ثمّ أصبحت يومية بتاريخ ١٩٦٠/١١/٨.

صاحبها: كامل الربيعي

رئيس تحريرها: كامل الشرع وفاضل عذافة

ألغي امتيازها في ١٩٥٤/١٢/١٧، ثم منحت الامتياز في ١٩٥٩/٦/٢٦ وألغيت

(١) اهتمت بالأخبار الأدبية، وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية. أشارت في عددها الأخير إلى المشتركين، أنها ستتوقف عن النشر، وسيُبدأ في تزويدهم بصحيفة (آتي). حوكم رئيس التحرير بالسجن لمدة شهرين قبل توقفها عن النشر لتهجمه على محرر صحيفة (الرشاد) طلعت أفندي.

في ١٩٦٣/٢/٢٨

توجد أعداد منها في : المكتبة الوطنية وفي مكتبة المتحف.

**- د -**

**١٣- صحيفة الدستور**

صحيفة سياسية أسبوعية عربية

صدر عددها الأول في ٢٢ كانون الثاني ١٩١٢.

صاحبها ومديرها المسؤول: عبد الله زهير ، انتقل امتيازها إلى عبد الوهاب الطباطبائي بعد دخول صاحبها مجلس النواب العثماني.

وكانت لسان حال جمعية الإصلاح في البصرة والتي كان يرأسها طالب باشا النقيب، طبعت بمطبعة الولاية ومطبعة المحمودية.

حرر فيها العديد من أدباء المدينة منهم عبد المحسن الطباطبائي وإسماعيل السامرائي وسليمان الفيضي وعبد العزيز الطباطبائي، وكانت لسان الحزب المعارض للسلطة، واعتبرت لسان الساسة والكتّاب في البصرة وبغداد. اهتمت بنشر المقالات السياسية والأدبية والنقدية.

عطلتها الحكومة فأصدر صاحبها عوضاً عنها صحيفة (صدى الدستور) في ٢٥ أيلول عام ١٩١٣ [1]. توقفت عن الصدور بعد عددها الثالث والستين.

**- ر -**

**١٤- صحيفة الرشاد**

صحيفة أسبوعية، سياسية، فنية.

صاحب الامتياز: يوسف السامرائي.

مديرها المسؤول: المحامي محمد صائب.

صدرت في البصرة في ٢٩ آب ١٩١٠، وتوقفت عن النشر في ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣.

اتبعت سياسة تأييد لحزب (الحرية والائتلاف) متبعة بذلك نهجاً معارضاً لحزب الاتحاد والترقي الحاكم.

**١٥- صحيفة الرقيب**

صحيفة يومية فنية جامعة تصدر مرتين في الأسبوع تقريباً

صاحب الامتياز ورئيس التحرير: أسطفان كجه جي

المدير المسؤول: محمد صائب

---

(١) توقفت عن الصدور بعد ١٩ عدداً في تشرين الأول (نوفمبر) ١٩١١ لفترة مؤقتة ثم عاودت الصدور بعد عودة عبدالله الزهير إليها.

صدر العدد الأول منها سنة ١٩٣٣ واستمرت بالصدور إلى عام ١٩٣٥.

**ـ ص ـ**

**١٦ـ صحيفة صدى الدستور**

صحيفة أسبوعية.

آخر صحيفة كانت تصدر في العهد العثماني، كانت تطبع في مطبعة المحمودية.

صاحب الامتياز ورئيس تحريرها: عبدالوهاب الطباطبائي.

المدير المسؤول والمشرف على القسم التركي: عمر فوزي زادة كركوكلي.

صدر عددها الأول في ١٥ آذار (وقيل: ٢٥ أيلول) ١٩١٣، توقفت عن النشر في ١٢ كانون الثاني ١٩١٣. صدر منها ٧١ عدداً. توقفت عن الصدور بعد الاحتلال البريطاني لمدينة البصرة.

فتحت هذه الصحيفة بعد إغلاق صحيفة الدستور في سنة ١٩١٣ وكانت لسان حال جمعية الإصلاح في البصرة.

**١٧ـ صحيفة صوت الطلبة**

صحيفة سياسية نصف أسبوعية

صاحبها ورئيس تحريرها: نصيف الحجاج.

مدير الإدارة: عبد الجبار الشيخ.

صدرت في البصرة سنة ١٩٥٩ حيث منحت الامتياز في ١٩٥٩/٤/٢ وتوقفت في ١٩٦١/٨/٦.

توجد أعداد منها في : مكتبة المتحف العراقي (٣١ ـ ٧٦) (١٤ ـ ٩) ١٩٦٠.

**١٨ـ صحيفة صوت الشعب**

صحيفة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية.

صدرت في البصرة في كانون الثاني ١٩٣٤.

صاحبها ورئيس تحريرها: يوسف هرمز.

مديرها المسؤول: الدكتور صبيح مصطفى.

صدرت ثلاث مرات في الأسبوع مؤقتاً، وكانت معالجتها في أكثر الأعداد تتعلق بالقضايا الطائفية وخاصة قضايا طائفة الآثوريين ومن مقالاتها بهذا الصدد:

(... إن الذي طالع الكتاب الأزرق الذي نشرته حكومتنا الجليلة يمكنه أن يستخرج فكرة واضحة: إن الحكومة العراقية كانت في كل أدوار قضية الآثوريين تعطف عليهم وتمدهم بكل مساعدة ممكنة وإنها بذلت جهوداً محمودة لكي تفهمهم ما هو صالح بحقهم وتريد أن تعاملهم بموجبه

ولكن شاءت الأغراض السياسية أن يحول سوء التفاهم بين رؤساء هذه الجماعة وبين مرامي الحكومة الصالحة، فلعب شيطان الفتنة دوره وتكبدت الحكومة خسارة بالأرواح والأموال ونكبت هذه الجماعة نكبة جرت على نفسها بالويلات والمصائب بسبب بعض المخدوعين منهم واشتباكهم مع الجيش العراقي في موقعة دامية).

ثم تحولت الصحيفة إلى بغداد وصدرت بالحجم الكبير، وكان مديرها المسؤول في عام ١٩٣٨ محمد ياسين محمد علي واتجهت سياستها مع الحكومة آنذاك.

**- س -**

**١٩- صحيفة السجل**

صحيفة ذات توجهات إسلامية[١]

صاحبها: السيد طه فياض العاني، صدرت في البصرة في عام ١٩٣٧.

**- ف -**

**٢٠- صحيفة الفيض أو الفيض الجديد**

أسبوعية تصدر كل جمعة باللغتين العربية والتركية

لصاحبها: المحامي داود نيازي أربيللي[٢].

رئيس التحرير: عمر فوزي زادة الكركوكلي.

تولى مسؤولية القسم العربي فيها: عبدالله البغدادي.

وقد صدر العدد الأول منها في البصرة بتاريخ ٦(وقيل:٢٧) أيار سنة١٩١٠م.وأغلقت اثر انتحار صاحبها في نيسان عام ١٩١١ م.

**- م -**

**٢١- صحيفة مرقعة الهندي**

صحيفة أدبية فكاهية انتقادية ساخرة أسبوعية مصورة[٣].

أول صحيفة هزلية في العراق[٤] صدر عددها الأول في ٢١ تشرين الثاني في عام ١٩٠٩ [٥].

---

(١) بحكم مايحمله صاحبها من ميول دينية، كما كان كتابها ممن يحملون توجهات لها صلة بتنظيمات الشبان المسلمين.

(٢) ذكر الأستاذ عبدالرزاق الحسني في كتابه (تاريخ الصحافة العراقية) الطبعة الثالثة، بأن داود نيازي هو اسم مستعار لعمر فوزي زادة، وهو رأي غير صائب، بدليل أن الصحيفة توقفت عن الصدور بعد انتحار صاحبها، بينما بقي فوزي زادة يواصل عمله الصحفي في صحف أخرى.

(٣) سميت الصحيفة مرقعة الهندي استعارة من ملابس العمال الهنود الذين كانوا يعملون في البصرة بأجور زهيدة يحولون جزءاً منها لعوائلهم في بلدهم مما يجعلهم غير قادرين على استبدال ملابسهم حينما تتعرض للتمزق. الأمر الذي يدفعهم إلى ترميمها بقطع من القماش كيفما اتفق فتحمل ملابسهم ألواناً مختلفة، هكذا كانت الصحيفة تنشر ألواناً شتى من المواضيع الساخرة جنباً إلى جنب مع المواضيع الجادة في الأدب.

(٤) صدرت في ظل الحكومة العثمانية التي كان يقودها حزب الاتحاد والترقي أثناء عهد رشاد الثاني. اتخذت موقف المعارضة من حزب الاتحاد والترقي برغم أن إدارتها كانت تقع في مبنى الولاية، وتطبع في مطبعتها.

(٥) ذكرت تواريخ أخرى لصدورها وولعل مردها كما أسلفنا عدم التوثيق.

صاحبها: الحاج أحمد حمدي المشراقي[1].

مديرها: محمد حمدي. شقيق صاحب الصحيفة.

قالت عن الصحف آنذاك إنها كشكول آداب وغلاة فكاهات.

أبدل صاحبها اسمها في ١٠ آب ١٩١٠ إلى (البصرة الفيحاء) وتعطلت في تشرين الأول ١٩١١[2].

**٢٢ـ صحيفة المنبر**

صحيفة أسبوعية عربية سياسية.

صاحب الامتياز ورئيس التحرير: الأستاذ أحمد جودت كاظم.

صدر العدد الأول منها في ١٢ تشرين الأول سنة ١٩١١ م ، فأمر والي البصرة علي رضا باشا بإغلاق الصحيفة وذلك في أواخر شهر كانون الأول سنة ١٩١١ م ، ولم تدم أكثر من ( ٤٥ ) يوماً على إصدارها.

**ـ ن ـ**

**٢٣ـ صحيفة الناس**

صدرت في البصرة في ٩- ٦- ١٩٣٥.

صاحبها: عبد القادر السياب[3].

تبنت توجهات الحزب الوطني العراقي بقيادة جعفر أبو التمن.

عطلت الصحيفة بعد فشل حركة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ واعتقل السياب وأرسل مخفوراً إلى معتقل الفاو وبعد الإفراج عنه عاود إصدار الناس وعاودت السلطات تعطيلها في عام ١٩٥٢ ولكنها ما لبثت أن عاودت الصدور حتى ١٤ تموز ١٩٥٨.

## المجلات

**ـ أ ـ**

**١ـ مجلة الاقتصاد**

صدرت في نيسان عام ١٩٢٨

أصدرها: بديع شوكت بالاشتراك مع يوسف هرمز.

كانت تطبع على مطابع صحيفة الحياة للأخوين هرمز.

صدر منها ثلاثة أعداد ثم توقفت.

**ـ ت ـ**

**٢ـ مجلة التهذيب (وقيل صحيفة)**

سياسية علمية أدبية أخلاقية أسبوعية باللغتين العربية والتركية. وهي الصحيفة

---

(١) لقب المشراقي يعود إلى أن السيد أحمد هو من أهالي محلة المشراق جنوب شرق البصرة.

(٢) قامت إدارة الصحيفة بتغيير اسمها إلى (البصرة الفيحاء) وفي ٢ كانون الثاني ١٩١١ ، استعادت اسمها الأول، وقد تم تغيير المدير المسؤول حيث تولى المنصب السيد محمد صابر.

(٣) عبد القادر بن عبدالجبار بن مرزوق بن سياب السياب، من قرية جيكور في قضاء أبي الخصيب، ولد في عام ١٩٠١ وتوفي في عام ١٩٦٩ ، كان السياب كاتباً سياسياً محترفاً وكانت الفكرة القومية هي التي تحكم مسارات عمله السياسي، ومنذ أن ترك جمعية الأحرار (كانت واجهة سياسية للحركة الماسونية التي أسسها الضباط البريطانيين في البصرة، وفي الطلب الرسمي المقدم إلى الجهات المختصة في البصرة كانت الهيئة التأسيسية مكونة من:عبد القادر السياب، توما هرمز، مهدي وفي ، عبد الحافظ الخصيبي ، عبد محمد بنكال) ،ومجلة شمس كانت ارتباطاته مع الأحزاب القومية. أصبح نائباً عن البصرة في عام ١٩٣٩ وحتى اعتقاله عام ١٩٤١ ، وفي عام ١٩٤٦ أصبح عبد القادر السياب رئيساً لفرع حزب الاستقلال في البصرة.

الثالثة الصادرة في البصرة خلال الحكم العثماني.

صدر عددها الأول في الأول من حزيران ١٩٠٩.

صاحبها: أمين عالي بك باش أعيان (من أعيان البصرة) وقد اختار باش أعيان اسم الصحيفة على اسم مدرسة (التهذيب) التي بناها بماله الخاص.

لم تدم طويلاً، إذ عطلها صاحبها في آذار عام ١٩١٠.

توجد في : مكتبة باش أعيان ـ البصرة.

**ـ ث ـ**

**٣ـ مجلة الثمرات**

صدرت في مدينة البصرة في ١٠ آذار ١٩٢٩.

صاحبها ومديرها المسؤول: عبد الرضا الجبيلي.

تبحث في العلم والأدب والأخلاق والاجتماع. لم يصدر منها سوى ثلاثة أعداد.

**ـ س ـ**

**٤ـ مجلة السلام**

صاحبها: القس سليمان داوود

صدرت في البصرة في في مايس عام ١٩٥٤.

**ـ ش ـ**

**٥ـ مجلة الشبان المسلمين**

مجلة أسبوعية تهتم بشؤون الشباب المسلم.

صاحبها: السيد طه فياض العاني.

صدرت في البصرة في ١٨-٥-١٩٣٥.

**٦ـ مجلة الشمس**

صدرت في البصرة عام ١٩٢٥ بلسان حال (جمعية الشمس)[1].

**ـ ق ـ**

**٧ـ مجلة قناة الزهراء**

مجلة أدبية ثقافية سنوية صدرت في البصرة

صاحبها: ثانوية الزهراء للبنات في البصرة

توجد أعداد منها في : مكتبة المتحف العراقي (العدد الأول) ١٩٦٢.

**ـ ن ـ**

**٨ـ مجلة النشء الجديد**

مجلة علمية أدبية

صدرت في البصرة في أول شباط ١٩٢٧.

صاحبها: عبدالرزاق الناصري

استمرت لمدة سنة ثم نقل امتيازها إلى بغداد وصدرت لمدة سنة أخرى منذ تموز ١٩٢٨.

**الصحف حسب سني صدورها**

ـ البصرة ١٨٨٩

ـ الإيقاظ ١٩٠٩

ـ مرقعة الهندي ١٩٠٩

(١) وهي جمعية غير دينية و يعتقد أنها كانت الواجهة الإعلامية للحزب اللادينـي الذي كان من المنوي الإعلان عنه رسميا في البصرة، ولكن المعارضة الشديدة من الجمهور ومن الحكومة حالت دون ذلك. يقودها طالب كلية دار المعلمين العالية في بغداد، والمتخفي في البصرة (مهدي وفي).

- إظهار الحق ١٩٠٩
- الآتي ١٩١٠
- البصرة الفيحاء ١٩١٠
- الرشاد١٩١٠
- الفيض أو الفيض الجديد ١٩١٠
- البصرة الفيحاء ١٩١٠
- التاج ١٩١١.
- المنبر ١٩١١.
- الدستور ١٩١٢.
- صدى الدستور ١٩١٣
- الأوقات البصرية ١٩١٥
- نشرة الأحد ١٩٢١
- الأيام ١٩٣٠
- صوت الشعب ١٩٣٤.
- الرقيب ١٩٣٤
- الثغر ١٩٣٤
- الناس ١٩٣٥
- السجل ١٩٣٧
- البريد ١٩٥٠
- الخير ١٩٥٤
- صوت الطلبة ١٩٥٩

**المجلات حسب سني صدورها**

- التهذيب ١٩٠٩
- الشمس ١٩٢٥
- النشئ الجديد ١٩٢٧
- الاقتصاد ١٩٢٨
- الثمرات ١٩٢٩
- الشبان المسلمين ١٩٣٥
- مجلة السلام ١٩٥٤
- قناة الزهراء ١٩٦٢

من مصادر الدراسة


١- كشاف الجرائد العراقية : زاهدة إبراهيم .
٢- الموسوعة الصحفية :فائق بطي.
٣ - في غمرة النضال: سليمان فيضي.
٤- تاريخ الصحافة العراقية: عبدالرزاق الحسني
٤- مقال: صحف البصرة في العهد العثماني، ومقال تاريخ الطباعة في البصرة، للاستاذ عبدالله رمضان العيادة.
٥- مقال: من تاريخ الصحافة في البصرة. . . . . الصحافة الساخرة، للاستاذ فهد الطائي
٦- توثيق بدايات الصحافة العراقية في لوائي البصرة والموصل ناشر الموضوع : حادي الركب
٧- مقال: (عبد الرزاق الناصري - من تاريخ الصحافة في البصرة)، د. ذياب فهد الطائي
٨- مقال: (عبد القادر السياب - من تاريخ الصحافة في البصرة)، د. ذياب فهد الطائي

# فن كتابة خط..
# الطغراء

كريم نصيف الجميلي •

ينابيع

أولى العرب أنواع الخط العربي، عناية فائقة، تتمحور في الخوض والبحث عن أصول جذورها الموغلة في التاريخ القديم. منها ماهو منفرد ومنها ماهو مشترك مع فنون أخرى بدائية ، وأفرغوا الكثير من قابلياتهم الفنية والجمالية والإبداعية في التفنن للوصول إلى مرحلة التسامي الإبداعي ، فلم يعد أداة للكتابة ونقل المعلومة أو البحث، أو علماً من العلوم والمعارف المختلفة، بل أصبح وسيلة مهمة ورئيسية للجمال والتزيين.

فالخط العربي يعتبر أرقى خطوط العالم وأجملها، فإن له من حسن الشكل والجمال وهندسة الحروف وبديع النسق وجاذبية الصورة ما جعله محبباً حتى لدى الشعوب التي تكتب بغير اللغة العربية. وخط الطغراء بضم الطاء والجمع طغروات وطغراءات هو من الخطوط المهمة، وعلامة كتابية ترسم أعلى الرسائل السلطانية، منها ما يكتب بالذهب وبعض الأحيان يكتب بالألوان البراقة الجميلة، وتكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك أو السلطان الذي صدر الكتاب عنه وبعض الأحيان أحد ألقابه، وقد عرفها سلاجقة الروم والمماليك في مصر وكذلك استخدمها الفنانون

المسلمون في النقوش الكتابية، لكن يبقى خط الطغراء رمزاً عثمانياً بحتاً لذلك برزت الطغراء بين الأولويات الاعتبارية والأساسية للدولة العثمانية منذ بداياتها الأولى تقريباً حتى نهاية تاريخها الطويل، وتخضع كتاباتها في الدواوين الحكومية إلى تقاليد كتابية خاصة فهي توضع بين الطرة المكتبية في أعلى المنشور وبين البسملة كما أشرنا سلفاً وتختلف تراكيبها باعتبار كثرة منتصباتها، كالألف واللام أو قلتها وذلك بحسب ذكر آباء السلطان واختصارهم كما تختلف الحال في طول المنتصبات وقصرها حسب قطع الورق.

وقد تغيرت صورة الطغراء ومدلولها لدى العثمانيين كما تطورت تلك الطغراء البدائية في ما بعد لتتشكل على صور الطيور والحيوانات أو الوجوه والمراكب والسفن وما شابهها، وتذكر كثير من البحوث في الخط العربي عامة والخطوط العثمانية خاصة أن خط الطغراء هو نوع من أنواع الخطوط العثمانية، لكن بعد الفحص والتمحيص لأشكال الطغراء المختلفة في المخطوطات ورسومها يتبين لنا أنها ليست خطاً مستقلاً بذاته وإنها تكتب بغالبية الخطوط المختلفة تقريباً حيث أخذت القالب الفني الموحد في هيكله العام بمختلف الخطوط وبنص واحد، فهي تركيب أو رسم فني ووظيفي

لتواقيع السلاطين العثمانيين وإمضاءاتهم الرسمية على مختلف الوثائق والرسائل والمخطوطات والآثار العثمانية، بدءاً من التحف والأدوات، وانتهاءً بالأبنية والممتلكات.

واختلفت أنواع الخطوط المستخدمة في كتابة الطغراء تبعاً لرغبات الخطاطين وثقافاتهم ومهاراتهم فاستخدم خط التعليق في الطغراوات الفارسية، والنسخ والديواني في الطغراوات التركية، واستخدم الثلث المركب في الطغراوات المملوكية، أما الطغراوات السلجوقية فكتبت بخط الجلي الثلث، وتطورت أساليب كتابة الطغراء لدى الأتراك وأبدعوا فيها غاية الإبداع حتى عدها الكثير من الباحثين خطاً قائماً بذاته ثم أصبحت شعاراً للدولة العثمانية وبلغت غاية الجمال والإتقان على يد الخطاط مصطفى راقم (ت ١١٨١هـ) الذي كتب نماذج لمعظم السلاطين فضلاً عن ذلك اشتهر بكتابة لوحات بخط الطغراء تضمنت آيات قرآنية قصيرة أو أحاديث نبوية منها (بسم الله الرحمن الرحيم) (وإنك اعلى خلق عظيم). وغيرها من آيات المصحف الشريف.

ومن أجمل الطغراوات التركية طغراء السلطان سليمان الثاني، كتب بالخط الديواني (القرن ١١) حيث ترتفع نهاية هامات الحروف المنتصبة ليتشكل منها شكل قلب بمداد ذهبي، في وسطه قلب آخر رأسه إلى الأعلى داخله حلية من الزخارف النباتية الملونة المذهبة، ومن الطغراوات التركية المعقدة ماكتب في أعلى فرمان صادر باسم السلطان مراد الثالث الخط الديواني مؤرخ (٩٨٣هـ) بقلم الخطاط التركي (طغر مراكش) باللونين الأسود والذهبي، وطغراء أخرى ذات تشكيل متميز عن بقية الطغراوات التركية باسم السلطان عثمان الثالث (ق١٢هـ) حيث ترتفع هامات الألف وتمتد نهايات الحروف من وسطها ونهايتها لتصبح مشبكاً من الزخارف النباتية والتشكيلات الزخرفية الرائعة يتوسطها مستطيل باللون الذهبي تعلوه أرضية زرقاء حُلِّيَت بأنواع الزخارف النباتية وتعود نهايات التشكيل الزخرفي فتلتقي من الأعلى بهيئة مثلث وفي الفترة المتأخرة.

استخدمت الطغراء العثمانية على المسكوكات منها نقد عثماني باسم أحمد الثالث سنة (١٧٠٣م) ونقد آخر باسم السلطان عبد العزيز (١٨٦٠م) كذلك استخدمت الطغراء على المساجد والعمارة أما في الوقت الحاضر فقد استخدمت لتواقيع بعض الأسماء وفي الإعلانات وتصاميم الكتب لجمالية تشكيلات فن الطغراء الأخاذة ■

---

المصادر


١. الجبوري. تركي عطية عبود. الخط العربي الإسلامي
٢. المعجم الوسيط الكردي. محمد طاهر تاريخ الخط العربي
٣. حنش. ادهام محمد. الخط العربي في الوثائق العثمانية
٤. ابن كثير. البداية والنهاية
٥. السامرائي ضمياء محمد عباس. جمالية الخط العربي وفن كتابة الطغراء

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
١٤٢٤

# الوعي.. أساس العمل

فلاح العلياوي •

ينابيع (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف: ١٠٨).

يحدد القرآن الكريم نقطة الارتكاز لمن يتبنى انتهاج دين الله الحق ليكون عقيدة يعتنقها ومنهج حياة يعمل به وأمانة يبلغها ورسالة ينشرها، وتلك النقطة هي العمل (على بصيرة)، إذ لا قيمة للعمل، بل لا قيمة للتدين إن لم يكن عن بصيرة ووعي ورؤيا واضحة للأمور، وعدم أخذها بسذاجة وسطحية والانخداع بالظواهر.

ففهم الدين يجب أن يكون فهماً حقيقياً جوهرياً، لا فهماً سطحياً تتلاعب به الأهواء والعواطف، وهذا لا يعتمد على كمية المعلومات الدينية المكتسبة، وإنما يعتمد على فهم هذه المعلومات وتعقلها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً أهل البيت عليهم السلام: (عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل)[1]، كما ورد أيضاً وصف لأبي الفضل العباس عليه السلام في زيارته المأثورة: (وأشهد أنك مضيت على بصيرة من أمرك...)[2].

لأن الفهم السطحي للدين كثيراً ما يوقع الإنسان في الشبهات ثم في المحرمات، لأنه لا يمتلك الرؤيا الواضحة التي تؤهله للتمييز بين الحق والباطل، ليعرفَ الحقَّ أنه حقٌّ ويعرفَ الباطلَ أنه باطلٌ، فيختلطان عليه ويتشابهان فيقع في

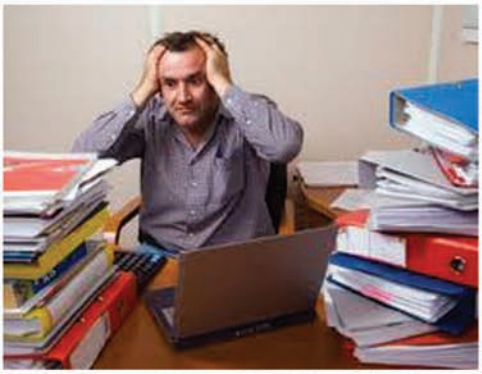

المحذور. وقد ورد في الدعاء: (...وَأَرِني الحَقَّ حَقّاً فَأَتَّبِعَهُ وَالباطِلَ باطِلاً فَأَجْتَنِبَهُ، وَلا تَجْعَلْهُ عَلَيَّ مُتَشابِها فَأَتَّبِعَ هَوايَ بِغَيْرِ هُدىً مِنْكَ)[٣].

فالتدين بلا بصيرة ووعي يجعل الإنسان يتنسك ظاهرياً، فيصلي ويصوم ويحج، بل ويتنفل بالليل، ولكنه لا يتورع عن الكذب أو الغيبة أو أكل أموال الناس بالباطل أو خيانة الأمانة، أما إذا تولى أمور الناس كحاكم أو رئيس وبأي منصب كان صغيراً أم كبيراً، فحدث ولا حرج، فالدين عنده مناسك صماء لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر. وهنا وضع لنا أهل البيت عليهم السلام ضابطة لمعرفة أصحاب الدين الحقيقيين، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطنطنتهم بالليل انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة)[٤].

كل ذلك بسبب عدم فهمهم للدين فهماً حقيقياً، فإنهم فهموا الدين من خلال كمية المعلومات التي حفظوها ورووها، لا من خلال وعيهم لهذه المعلومات ورعايتهم لها بتطبيقها. ولي هنا بعض الصور كأمثلة ونماذج عن حالة الوعي والبصيرة ووضوح الرؤيا. إنها دروس لنا لنستفيد منها ونعرف الغث من السمين أو الحق من الباطل أو الدين من (اللادين):

## الصورة الأولى: مسجد ضرار

لقد حفز الإسلام وشجع على بناء المساجد واعتبر من يقوم بتشييدها وتعميرها من المؤمنين (**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ...**)(التوبة:١٨).

ولكن ماذا فعل رسول الله ﷺ حيال مسجد ضرار؟

لقد جاءت مجموعة من المسلمين (المنافقين) إلى رسول الله ﷺ بعد عودته من معركة تبوك، وقالوا له: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتائية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي فيه وتدعو لنا بالبركة. وفي حقيقة الأمر أنه اجتمع مجموعة من المنافقين واتفقوا على أن يبنوا مسجداً يكون وكراً لهم للتجسس على المسلمين ومعرفة ما يخططون له ليوصلوه إلى المشركين. فأطلع الله نبيه على خبث سريرتهم وأنهم من المنافقين، وكشف بذلك الستار عن عمل هؤلاء، رغم أن ظاهره عمل يشجع عليه الإسلام ويدعو إليه، إلا أن جوهره كان خبثاً وحرباً على المؤمنين، فوجه رسول الله ﷺ من يهدمه ويحرقه وأمر بأن يتخذ كناسة تلقى فيه الجيف، ومحلاً لرمي القاذورات والقمامة. وقد أنزل الله في ذلك آيات في القرآن الكريم: (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**)(التوبة:١٠٧- ١٠٨).

إن قصة مسجد ضرار درس لكل المسلمين في كل العصور، فإن قول الله سبحانه وعمل النبي ﷺ يوضحان تماماً بان المسلمين يجب ألا يكونوا سطحيين في الرؤية مطلقا، وألا يكتفوا بالنظر إلى الجوانب التي تصطبغ بصبغة الحق، ويغفلوا عن الأهداف الأصيلة المراد تحقيقها، والمستترة بهذا الظاهر البراق. فعلى المسلم أن يعرف المنافق وأساليبه، وبأي زي يتزيّ، وبأي شكل يظهر، حتى ولو كانت صورته صورة المتدين والمتنسك، أو ادعى مناصرة الدين أو تشييد المساجد، إذ لا يمكن أن تبدل الأسماء والعناوين والأقنعة من واقع الأشياء شيئاً مطلقاً...

## الصورة الثانية: ذو الشهادتين

من تعاليم الإسلام العظيم التي ربى عليها المسلمين التأكيد على الدقة في أداء الشهادة، وحذر كثيراً من شهادة الزور وعدها من كبائر الذنوب، ولكن أين تقع هذه التعاليم من قصة ذي الشهادتين؟

إنه أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي، من السابقين الأولين، شهد بدراً وما بعدها، وشهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين، واستشهد في صفين سنة ٣٧ هـ، جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين، فلقب (ذو الشهادتين)[٥].

وإليك قصة هذه التسمية: فقد روى الشيخ المفيد في الاختصاص عن الإمام الصادق عليه السلام: (أن رسول الله ﷺ، اشترى فرساً من أعرابي فأعجبه، فقام أقوام من المنافقين حسدوا رسول الله ﷺ على ما أخذ منه، فقالوا للأعرابي: لو بلغت به إلى

السوق بعته بأضعاف هذا، فدخل الأعرابي الشره فقال: ألا أرجع فأستقيله؟ فقالوا: لا، ولكنه رجل صالح، فإذا جاءك بنقدك فقل: ما بعتك بهذا، فإنه سيرده عليك. فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله، أخرج إليه النقد، فقال: ما بعتك بهذا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق، لقد بعتني بهذا، فقام خزيمة بن ثابت فقال: يا أعرابي، أشهدُ لقد بعتَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله بهذا الثمن الذي قال، فقال الأعرابي: لقد بعته وما معنا أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لخزيمة: (كيف شهدت بهذا؟) فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، تخبرنا عن الله وأخبار السماوات فنصدقك، ولا نصدقك في ثمن هذا الفرس، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته شهادة رجلين فهو ذو الشهادتين)[٦].

وهذه صورة أخرى من صور الوعي التي امتاز بها المؤمن الحقيقي، فإنه لم يسلك السبل الظاهرية في أداء الشهادة، والتي تقضي بألا يشهد أحد شهادة إلا إذا كان حاضراً تلك الواقعة، ولكن وعيه وفهمه للدين وللرسالة والنبوة، جعلاه يشهد وهو لم ير شيئا ! لأنه آمن بمجموعة من المغيبات جاء بها محمد صلى الله عليه وآله من وحي السماء، وصدقه وآمن به كنبي مرسل من قبل الله، وجوابه لرسول الله صلى الله عليه وآله حينما سأله النبي صلى الله عليه وآله: كيف شهدت بهذا؟ خير دليل على وعيه وبصيرته بالأمور ووضوح الرؤيا لديه.

ونقول: أين هو من ذاك الذي قال للنبي صلى الله عليه وآله وهو يقسم غنائم حنين: يا محمد اعدل فإنك لم تعدل، قال صلى الله عليه وآله: ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل؟[٧]، أين رؤيا هذا من رؤيا خزيمة للنبي صلى الله عليه وآله؟ وهما متعاصران ويعيشان في مكان واحد وزمن واحد؟ هذا هو الفرق بين المؤمن الواعي الفاهم معنى الدين ومعنى النبوة، وبين السطحي الساذج الذي لم يفهم معنى النبوة، والذي كانت نهايته أن قتل فيمن قتل من الخوارج على يد أمير المؤمنين عليه السلام. وهذه نتيجة حتمية لمن لم يميز بين الحق والباطل.

## الصورة الثالثة: أبو ذر الغفاري

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر). أبو ذر الغفاري، جندب بن جنادة - من قبيلة غفار - هذا البطل العملاق كان رمزاً لليقظة الإنسانية، كما هو المثل الناطق للضمير الإسلامي. بايع رسول الله صلى الله عليه وآله على ألا تأخذه في الله لومة لائم، وأن يقول الحق ولو كان على نفسه ولو كان مراً. فالتزم بما بايع الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وكان جريئاً في جنب الله إلى آخر عمره، كما كان في أول أمره. لازم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ملازمة الظل لصاحبه وكان من حواريه الذين صاحبوه ولم يفارقوه، وكان من صفوة الصحابة وأعلامها[٨].

ولكن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله منع أبو ذر عن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقراءة بعض الآيات القرآنية من قبل عثمان، فلم يمتنع عن ذلك، وما كان هياباً للتهديدات[٩] والقصص في ذلك كثير، منها:

لما بنى معاوية قصر الخضراء بدمشق، وقف أبو ذر على رأسه وقال: يا معاوية إن كان هذا البناء بمالك، فذاك إسراف، وإن كنت بنيته بمال المسلمين فتلك خيانة، فسكت معاوية. وكان أبو ذر يقول: والله

لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله، ولا سنة نبيه، والله إني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحيى، وصادقاً يكذب، وأثرة بغير تقى وصالحاً مستأثراً عليه. وكان يقف على أبواب الحاكمين سواء أكان في المدينة أو الشام ويتلو هذه الآية: (**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**)[10]، فأرسل معاوية إلى عثمان يشكوه. وقد حاول عثمان ومن ثم معاوية إغراء أبي ذر بالأموال للتنازل عن موقفه، وعدم مجاهرته بالحق، فرفض ذلك وتعرض لمختلف أنواع البلاء والعذاب، وقد تكرر ذلك مراراً فلم يفلح[11]، منها أن معاوية بعث مع عبدين ثلاثمائة دينار إلى أبي ذر، ويبدو أنه وعدهما أنه سيعتقهما إن استطاعا إقناع أبي ذر بأخذ هذه العطية. . فقال: لا حاجة لي فيها ورفض أخذ المال، فجدّا في التوسل بأبي ذر على أخذ المال فلم يفلحا، أخيراً قالا له: إذا قبلت هذا المال نكون أحراراً فقال: (نعم أنتما تكونان حرين وأنا أصير عبداً).

وشاهد الموضوع كلمته الأخيرة (نعم أنتما تكونان حرين وأنا أصير عبدا).

لا يخفى على أحد، كم حفز الإسلام وشجع على عتق الرقبة، وقد سمع أبو ذر ووعى كثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين ثواب عتق الرقبة، منها قوله صلى الله عليه وآله: (من أعتق رقبة مؤمنة أو مسلمة في الله، أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار)[12] أو: (من أعتق رقبة مؤمنة كانتِ فداءه من النار)[13] أو: (أربع من أراد الله بواحدة منهن وجبت له الجنة: [ويذكر ثلاثة] ثم يقول. . . أو أعتق رقبة مؤمنة)[14].

ورغم الثواب العظيم في عتق الرقبة، الذي يحرر من النار ويدخل الجنة إلا أن أبا ذر يرفض أخذ المال المهدى إليه من معاوية أو عثمان (على روايتين)، وفيه عتق رقبتين مسلمتين وليست واحدة، لأن فيه عبوديته على حد قوله.

فأبو ذر يرى أن هذا المال رشوة مغلفة بغلاف الهدية، أو بغلاف ثواب عتق الرقبة، من أجل إسكات صوته الصداح بالحق. فوعيه وفهمه للدين، جعلاه يرى أن سكوته عن قول الحق عبودية للباطل، ولا ينبغي للمؤمن الحر أن يكون عبداً ليحرر عبداً من رقه.

وبصراحة لو حدث مثل ذلك لي ولكثيرين أمثالي، لقبلنا المال وأقنعنا أنفسنا: (إن فيه عتق رقبة، وثواب ذلك عظيم، فلا بأس بأخذ المال من أجل عتق الرقبة.) لأن وعينا وبصيرتنا لم ينضجا بعد، ولم يصلا إلى هذا المستوى.

## الصورة الرابعة: صورة من الطف

في الطف صور كثيرة تنم عن الوعي والبصيرة، اخترنا واحدة منها:

في ليلة العاشر من المحرم، وفي معسكر الإمام الحسين عليه السلام، تلك الليلة الرهيبة التي حوصر فيها الإمام الحسين عليه السلام من قبل جيش الضلال والنفاق، وقد أخبر الإمام أصحابه أنهم في صبيحة هذه الليلة، سيقتلون جميعاً وستقطّع أوصالهم وسيمثل بأجسادهم، وستسبى النساء والأطفال، ثم بدأوا يتوادعون ويعانق بعضهم بعضا استعداداً للموت. مرت لحظات تلك الليلة كئيبة حزينة على آل النبي وأنصارهم.

إنها ليلة لم يمر مثلها في التاريخ، لما سيقع في صبيحتها من جريمة يهتز لها

عرش الرحمن وتبكي فيها ملائكة السماء.

في أجواء مشحونة كهذه يسودها الوجوم والترقب، يقوم برير بن خضير الهمداني وكان شيخاً تابعياً ناسكاً، قارئاً للقرآن، من شيوخ القراء، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من أشراف أهل الكوفة من الهمدانيين، يهازل عبد الرحمن بن عبد ربه ويضاحكه، فقال عبد الرحمن لبرير: (دعنا، فو الله ما هذه بساعة باطل!) فقال برير: (والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكني والله لمستبشر بما نحن لاقون، والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن نحمل على هؤلاء فيميلون علينا بأسيافهم، ولوددت أن مالوا بها الساعة)[15].

أي وضوح في الرؤيا يمتلك برير! فانه لم يرَ الموت. ترك الحياة وفقد الأحبة!، فهذه صورة فوقية سطحية لم يكن يراها أو يعبأ بها ! وإنما كان يرى ما وراءها وبوضوح جعله فرحاً مستبشراً، إنه يرى الجنة ونعيمها مادام في صف الحسين عليه السلام.

ما تقدم ذكره نماذج وصور من الوعي والبصيرة اللتين ينبغي للمؤمن أن يتصف بهما ولا يكون سطحياً وساذجاً،ونسأل الله أن ينور بصائرنا ويزيد في وعينا وليكن دائماً دعاؤنا: (اللَهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَرِنِي الحَقَّ حَقّا فَأَتَّبِعَهُ وَالباطِلَ باطِلاً فَأَجْتَنِبَهُ، وَلا تَجْعَلْهُ عَلَيَّ مُتَشابِها فَأَتَّبِعَ هَوايَ بِغَيْرِ هُدىً مِنْكَ وَاجْعَلْ هَوايَ تَبَعاً لِطاعَتِكَ وَخُذْ رِضا نَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي، وَاهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ)[16] ■

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٥٩ / ط ٢٣٤.

(٢) مصباح المتهجد - الشيخ الطوسي - ص ٧٢٦.
(٣) مصباح الزائر ص٢٠٨ والبحارج٩٩ص٢٢.
(٤) وسائل الشيعة: م ١٣، ص ٢٢٠.
(٥) الناصريات:الشريف المرتضى/ هامش ص٤٢٩.
(٦) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٧ - ص ٣٨١.
(٧) مسند الحميدي - عبد الله بن الزبير الحميدي - ج ٢ - ص ٥٣٥.
(٨) الأعلام من الصحابة والتابعين - الشاكري - ج٤ - ص ١١.
(٩) نفس المصدر ص ٤٩.
(١٠) نفس المصدر.
(١١) نفس المصدر ص ٥١.
(١٢) المهذب - القاضي ابن البراج - ج ٢ - ص ٣٥٥.
(١٣) شرح اللمعة - الشهيد الثاني - ج ٦ - ص ٢٢٩.
(١٤) دعائم الإسلام - القاضي النعمان المغربي - ج٢ - ص ٣٠١.
(١٥) تاريخ الطبري /٣: ٣١٨.
(١٦) مصباح الزائر ص٢٠٨ والبحارج٩٩ص٢٢.

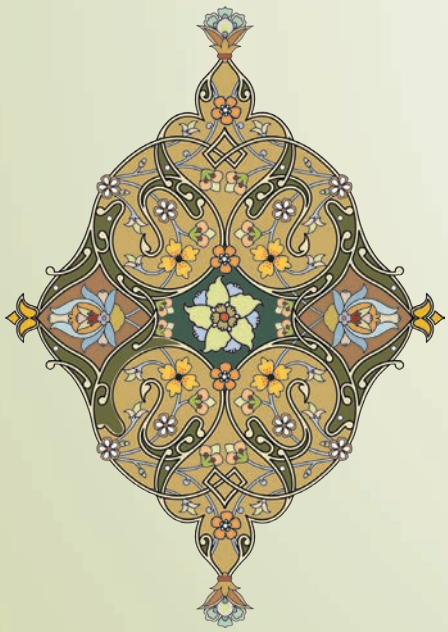

# النجف.. في ثلاث مشاهدات

## قراءة في كتاب:
## (العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه)

د. سعد حداد •

ينابيع

تعد الكتب المؤلفة في أدب الرحلات مفاتيح مهمة لكشف أسرار وإيضاح مبهمات، ونقل صور حية عن مجتمعات وآناس ومدن وغيرها. وتختلف الكتب بتآليفها تبعاً لاختلاف أساليب كتّابها ومدونيها. وتختلف أيضاً باختلاف الظروف والزمن للرحالة في زياراتهم لبلد ما. ربما يكتب أحد الرحالة مذكراته ومشاهداته عن مدينة زارها أو مر بها أثناء رحلته فيدون ما عن له من صور فينقلها كما هي دون رتوش، بينما يكتب آخر عن المدينة نفسها في زمن آخر وإن كان مقارباً له مشاهدات أخرى تنسخ مشاهدات زميله الأول، وهكذا. وربما في عصر واحد نجد التباين ظاهراً بين اثنين أو أكثر في نقل الصورة وترجمتها كتابةً، وهذا حاصل فعلاً وواضح في بعض ما كتبه الرحالة طيلة قرون مضت عند زيارتهم إلى العراق. فالأهواء النفسية والمذاهب والأيدلوجية السياسية قد تلعب دوراً مغايراً في نقل الصورة إلى القارئ بعيداً عن الموضوعية والدقة والصدق. فالبعض من الرحالة ولأهداف ما، كرسوا مفاهيم بعيدة عن الواقع العراقي، ورسموا صوراً لا توجد إلا في مخيلاتهم متظاهرين بالموضوعية، على سبيل ما فعله الرحالة والمستشرقون عبر حقب تاريخية مختلفة بتقديم تفاصيل تحقق أهدافاً سياسية باعتبار أن العراق مركز حضاري مهم في التاريخ، لذا لجأ بعض الرحالة

مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية
٢٢
العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه
ترجمة وتعليق
محمد الشيخ هادي الاسدي

إلى البحث عن تاريخ ضائع لديانات ومذاهب وشعوب، أو لأجل تحقيق مآرب خاصة.

والكتاب الذي بين أيدينا لا يختلف من حيث المضمون في النقل الدقيق لما شاهده الآخرون في العراق من صور عديدة متنوعة للطبيعة والناس ومرافق الحياة الأخرى. فقد قام الباحث والمترجم الأستاذ الفاضل محمد الشيخ هادي الأسدي بإصدار ترجمة مهمة لثلاثة كتب في كتاب واحد، يجمعها المضمون وتقارب الأساليب، صدر الكتاب سنة ٢٠١١م بطبعته الأولى ضمن سلسلة منشورات مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية (٢٢) بعنوان (العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه).

تضمن الكتاب مذكرات ثلاثة أشخاص من شخصيات العهد القاجاري، وهم (عبد العلي خان) وهو الابن الأكبر للحاج علي خان مقدم المراغي صاحب الدولة، وكان شاعراً، منحه ناصر الدين شاه لقب (أديب الملك) وتقلد مناصب منها عدد من الوزارات، وتولى إدارة الحكومة في قم وسمنان ومراغة. توفي سنة ١٣٠٢هـ عن عمر ناهز الستين عاماً.

ورحلته إلى العراق كانت انطلاقاً من طهران إلى كرمنشاه ثم خانقين. بدأت في الرابع عشر من محرم سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م، واستغرقت ستة أشهر. وضمت الصفحات (١٨-٧٤) من الكتاب.

والرحلة الثانية، وصاحبها الحاج سلطان عبد المحمد ميرزا سيف الدولة، وهو حفيد الشاه فتح علي شاه القاجاري، تولى عدة مناصب في الدولة القاجارية منها سنة ١٢٨٩هـ سدانة العتبة الرضوية في مشهد المقدسة. وحصل على لقب (سيف الدولة) سنة ١٢٩٩هـ. وأصبح سنة ١٣٠٥هـ حاكماً على مدن ملاير وتويسركان ونهاوند في عهد ناصر الدين شاه، تعرض للعزل والاعتقال وأطلق سراحه بعد مدة قليلة بسبب ظلمه الذي مارسه ضد الفقراء في المناطق التي كان حاكماً عليها. ورحلته إلى العراق كانت سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م عن طريق الموصل قدوماً من ديار بكر. وضمت الصفحات (٧٧-١١٤) من الكتاب.

أما الرحلة الثالثة فهي لناصر الدين شاه القاجاري، الذي تمنيت لو عرّف له المترجم، كما عرّف بصاحبيه المتقدمين. وقد عنون الكتاب باسمه من باب (الإثارة والوضوح) كما أخبرني جنابه الكريم في اتصال هاتفي. أقول: إن القاجاري هو ناصر الدين بن أحمد بن محمد شاه بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه القاجاري، كان ذا منزلة رفيعة في عصره، مكرماً للعلماء والأدباء والأشراف، وألفت باسمه كتب كثيرة، وهو أديب وشاعر، له ديوان شعر باللغة الفارسية. أحدث نهضة إدارية وصحية وفنية في إيران وفي عصره أفتى السيد حسن الشيرازي بتحريم (تدخين التنباك). وله أعمال جليلة منها تذهيب قبة الإمامين العسكريين عليهما السلام وتذهيب إيوان المشهد الرضوي، وله في صحن النجف وكربلاء آثار باقية. قام برحلات عديدة إلى العراق وأوربا، قتل برصاصة مسدس أثناء زيارته لمشهد السيد عبد العظيم الحسني سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٦م.

ابتدأت رحلته إلى العراق بالدخول عن طريق خانقين انطلاقاً من طهران في ٢٣ شعبان سنة ١٢٨٧هـ/١٨/١١/٧٠م، واستمرت قرابة الشهرين، وضمت

الصفحات (١١٧-٢٢١) من الكتاب. وقد نالت حصة الأسد، وحفلت بأحداث مثيرة وأسماء عديدة ومواقف شتى.

إن الرحلات الثلاث متقاربة في عمرها الزمني، فقد حدثت بين عامي (١٨٥٦م) و(١٨٧٠م) وبين رحلة وأخرى فاصل زمني مقداره (٧) سنوات، وهذا التقارب سيعطي حتماً صوراً متقاربة، وقد تظهر فروق طفيفة من حيث التغيير من النواحي العمرانية أو العادات والتقاليد والأزياء وغيرها.

وبما أن الكتاب مثقل بالمواضع والمشاهد فقد فضلت الوقوف عند مدينة النجف الأشرف في هذه المشاهدات.

## الطريق إلى النجف

يصف (أديب الملك) الطريق الواصل من الكوفة إلى النجف بقوله: (تبلغ المسافة فرسخاً ونصف الفرسخ، لكنه طريق نحيف بسبب غارات القبائل البدوية، وقد أقاموا أبراجاً يبعد الواحد عن الآخر مسافة خمسمائة قدم) ثم يعرج فيصف بوابة النجف من الخارج قائلاً: (في خارج البوابة كان هناك مكان لسقاية الماء ومقهى واحد، وكان الجنود يقفون خارج البوابة وبأيديهم البنادق لاستلام الأسلحة من الناس الوافدين، وقمت أنا وطبقاً للقانون بتسليم أسلحتنا) ص٥٥.

بينما (سيف الدولة) يصفها بالقول: (المسافة بين الكوفة إلى النجف تبلغ ساعة واحدة، وبعد

ربع ساعة من الحركة هناك خندق عميق يقولون: إنه خندق الكوفة وبعد عبوره تنبسط الأرض أمامك، وهي أراضٍ رملية، وتنتشر على جانب الطريق بعض الأبراج يقف فيها أفراد الجيش للمحافظة على أرواح المسافرين أيام القلاقل والاضطرابات، وفي الطريق بئران ومحل سقاية المسافرين... وعند مدخل باب النجف هناك اثنتان من المقاهي) ص١٠٥.

## قبة وصحن الأمير(٤)

قدم الثلاثة وصفاً متنوعاً لجوانب مختلفة لصحن أمير المؤمنين عليه السلام خلال زياراتهم فقال (أديب الملك): (يبلغ طول صحن أمير المؤمنين عليه السلام اثنين وسبعين ذراعاً، وكذلك العرض أيضاً، وللصحن أربعة أبواب: باب الطوسي... الباب الشرقية... باب القبلة... الباب الشمالية...) ويضيف: (عندما تدخل إلى الصحن المطهر من باب الطوسي يواجهك إيوان الذهب، ويقع أمام الإيوان حوض ماء مشهور باسم حوض الكوثر، وكان في السابق يتصل بقناة ماء، حيث كان على الدوام مملوءاً بالماء، ولكن هذه القناة أصبحت مطمورة، ويوجد وسط الحوض أربعون مصباحاً من النحاس، والإيوان والمنارتان والقبة المطهرة كلها مكسوة بالذهب)... (وعندما تدخل من الباب الأول يقابلك الرواق وقد شاهدنا هناك شيئاً غريباً وهو أنه بعد انتهاء صلاة المغرب يجتمع حوالي الألف شخص أو أكثر من الطلبة من بينهم حوالي الثمانين مجتهداً، حيث يجلسون هناك كل ليلة للتباحث العلمي والدرس) ص٦٢.

(وينفتح من الرواق إلى داخل الروضة المطهرة بابان يفضيان إلى القبر الشريف من جهة تحت القدمين، والقسم السفلي من الضريح مصنوع من الفضة. أما الضريح فهو مصنوع من الفولاذ، ويستقر داخل الضريح صندوق من الخشب، ومكان الإصبعين موجود على شكل محراب، وتوجد السيوف والخناجر المرصعة بالألماس معلقة هناك). ص٦٣.

(وتوجد داخل الضريح القناديل الكبيرة المصنوعة من الذهب والفضة وعددها حوالي الثمانية عشر قنديلاً، ولكن القناديل الصغيرة كثيرة لا تحصى كما يوجد عدد من القناديل البرونزية التي تتدلى من سقف الرواق) (وعندما تدخل من باب القبلة يوجد على جهة اليسار حوض ماء وبئر حفره نجيب باشا والي بغداد) ص٦٣.

ويتصل الرواق من جهة الرأس بجدار الصحن الشريف. يوجد هناك ممر ضيق مسقف (الساباط) يحتوي على حجرات، وبعد عبور غرفتين توجد هناك تكية البكتاشية التي يجتمع فيها عدد من الدراويش الذين تنفق عليهم الدولة العثمانية، وهناك يجلس المرشد الذي يدعى (دده) ص٦٤.

أما (سيف الدولة) فيصف القبة والصحن المطهر بقوله: (أصل البقعة المباركة مربع الشكل، أما القبة المطهرة فهي أكثر ارتفاعاً من كل الأماكن المشرفة، ويحيط الصحن بالرواق من ثلاث جهات، أما الجهة الغربية فيفصل الرواق عن جدار الصحن ممر، وللصحن حجرات في الطابق العلوي والسفلي، وفي الطرف الغربي من الصحن تقع التكية البكتاشية، ويقابل الحرم إيوان ترتفع مئذنتان من جهتيه) ص١٠٧. و(يوجد داخل الحرم اثنان

**مدينة النجف الأشرف من داخل السور وتظهر فيها البوابة الرئيسية - آذار ١٩١١**

من القناديل الذهبية الكبيرة، واثنان من القناديل الأصغر ولكنها أغلى ثمناً، وهناك الكثير من الثريات والمعلقات والقناديل وهي من الذهب والفضة، كما توجد المجوهرات وهي كلها من هدايا الملوك والسلاطين) ص١٠٨.

بينما يصف (ناصر الدين شاه) الصحن بالآتي: (الصحن مفتوح وعريض، جدرانه مكسوة بالكاشي المعرق من العهد الصفوي، القبة ومرقد الإمام يتوسطان الإيوان الذهبي، والمنائر مكسوة بالذهب... والجهات الثلاثة من الصحن مفتوحة. أما الجهة المقابلة للشرق فهي مغلقة...) (وقد استعمل الكاشي المعرق الغريب داخل القبة، حيث لا يوجد في مكان في العالم مثل ذلك الكاشي، وهو مثل المينا التي ترصع بها رؤوس الأراكيل الفاخرة، بل هو أحسن منها، وهناك عدد كبير من قناديل الذهب والشمعدانات، كما تتدلى الستائر بكثرة في الأطراف، والشباك الذي فوق المرقد مصنوع من الفضة، وفرشت الأرضية بالسجاد النفيس المصنوع من الحرير... يبدو كأنه خرج اليوم من المعمل... ورواق الضريح مكسو بالمرايا...) ص١٦٨. (ورأيت بجانب فتحة الأصبعين في المرقد الشريف صفحة من الجواهر الثمينة) ص١٨٠.

## مقبرة وادي السلام

يصف (أديب الملك) القبور الموجودة في الصحن الشريف وخارجه، وداخل الرواق مع ذكر أسماء من قبر من النساء والرجال، ويصف مقبرة دار السلام التي قدر مسافتها عن (الباب الكبير) بـ(خمسمائة قدم) وبأنها جنة خالدة تسكنها أرواح المؤمنين وليس هناك مقبرة في الربع المسكون من الأرض بمثل جلالها وعظمتها وفيها تقع مقبرة هود وصالح، حيث يقعان تحت قبة واحدة ويرقدان في قبرين متجاورين) ص٦٠-٦٤.

فيما يصفها (ناصر الدين شاه) بـ(مدينة من الموتى، حيث تنتصب فيها بكثرة شواهد القبور العالية، وشاهدنا في وسط القبور قبة عالية مكسوة بالكاشي وهي قبة مرقد هود وصالح) ص١٦٩.

## سور النجف

وعن سور النجف يحدثنا (أديب الملك) قائلاً: (قام المرحوم الحاج محمد حسين خان الصدر الأصفهاني ببناء سور النجف، ويبلغ ارتفاع الجدار المقابل لمسجد الكوفة اثني عشر ذراعاً والذي يقع في جهتي وادي السلام والبحر يبلغ أحد عشر ذراعاً، أما محيط السور حول المدينة فيبلغ أربعة آلاف قدم) ص٦١.

بينما يقول (سيف الدولة): (للنجف قلعة بناها المرحوم الحاج محمد حسين خان... ومع أنها ليست واسعة جداً، إلا أنها حسنة وجيدة) ص١٠٧.

## المساجد

في وصف لمساجد النجف يذكر (أديب الملك) أن (عدد المساجد أربعمائة مسجد وسبب كثرة المساجد في المدينة هو أن الناس في الأزمنة الماضية لم يكن يجرأوا على استخدام التربة في المساجد الكبيرة للسجود عليها في الصلاة، ولذلك لجؤوا إلى إقامة مساجد صغيرة في منازلهم يصلي فيها الثلاثة أو الأربعة أشخاص، وقد كان العثمانيون عندما يرون أحداً يسجد على التربة يسحقون رأسه بأقدامهم حتى يبقى أثر التربة على جبهته) ص٦٢.

## سكان النجف

في إحصائية يوردها (أديب الملك) عن سكان النجف آنذاك (يبلغ عدد البيوت في النجف حوالي ألفين وسبعمائة منزل صغير وكبير) أما (سيف الدولة) فيقول: (سكان النجف هم من العرب والعجم والهنود، وعدد نفوسها ثلاثون ألف نسمة تقريباً، وجوه أهلها جميلة حسنة، وهم يحبون اللهو وعاطفيون، ومظهرهم الصلاح) ص١٠٨.

## المراجع وطلاب العلم

ذكر الثلاثة في مشاهداتهم جانباً مهماً مما امتازت به هذه الحاضرة النفيسة مراجع الدين العظام والأعلام الأفذاذ، وكل منهم كان يمني النفس بلقاء فلان وفلان من العلماء ليحظى بشرف اللقاء وتقبيل أياديهم... ومنهم الجهبذ الشيخ مرتضى الأنصاري (ت١٢٨١هـ) والشيخ مهدي كاشف الغطاء والشيخ محمد حسن كاشف الغطاء والسيد محمد تقي بحر العلوم والسيد علي بحر العلوم والشيخ جعفر بن الميرزا أغا الطهراني والسيد محمد بن محمد بحر العلوم والسيد باقر

بن علي بحر العلوم والسيد أبو القاسم الكاشاني النجفي وأضرابهم من علماء الدين والمراجع.

أما طلاب العلم فيقول (أديب الملك) في حوار مع الشيخ مهدي كاشف الغطاء قدس سره وتوجيه سؤال له حول عدد طلاب العلم في النجف وكم عدد المجتهدين من بينهم؟ قال الشيخ: إنهم بحسب السجل سبعمائة طالب من العرب وألف وثلاثمائة من العجم، وإن مئتين منهم بمستوى الاجتهاد ليس لهم نظير في بلاد العجم.

## صناعة العباءة

يتحدث (سيف الدولة) عن المهن والحرف في النجف فيقول إن (صناعتهم الغالبة هن نسج العباءات ولديهم مصانع كثيرة لصنع العباءات) ص١٠٨. بينما أحصى (أديب الملك) عدد المصانع في النجف فذكر أن فيها (ألف مصنع لصناعة العباءة).

## الحمامات

وفي إحصائية طريفة قام بها (أديب الملك) عن الحمامات ذاكراً إياها بقوله: (للمدينة سبعة حمامات هي: حمام أمين الدولة، حمام ميرزا يوسف نواب هندي، حمام الحاج حسين النجفي، حمام الهندي، حمام علي وهو من الحمامات القديمة، حمام السيد هاشم، حمام الحاج حسن، وأحسن هذه الحمامات هو حمام المرحوم أمين الدولة) ص٦١. لكن (سيف الدولة) يقول: (أما الحمامات فهي ليست بذات شيء) ص١٠٨.

وأخيراً.. لقد كان جهد المترجم الأستاذ محمد الشيخ هادي الأسدي ظاهراً في الكتاب من خلال ما أتحفنا به من إحياء نصوص بلغة تكاد تتقرض، فهو قد عانى الكثير وجابه المصاعب في ترجمة المصطلحات من اللغة الفارسية المستخدمة في العهد القاجاري، والتي يبدو أنها اندثرت ولم يعد لها استخدام ولم يسجلها أصحاب القواميس في كتبهم. فذهب باجتهاد جميل إلى الترجمة في المعنى والمضمون، ولم يركن إلى الترجمة الحرفية التي حتماً ستفقد في بعض الأصل المراد. وله حسنة أخرى في تعليقاته وهوامشه وتعريفاته فضلاً عما زين به الكتاب من ملحق للصور النادرة المختلفة.

نعم إنه جهد يستحق الثناء والتقدير، إذا أضيف إلى المكتبة العربية جهد طيب في أدب الرحلات لا مناص من الرجوع إليه من قبل الباحثين والمهتمين والقراء المحبين لهذا اللون من الأدب، ففيه التاريخ والتوثيق والتسلية ■

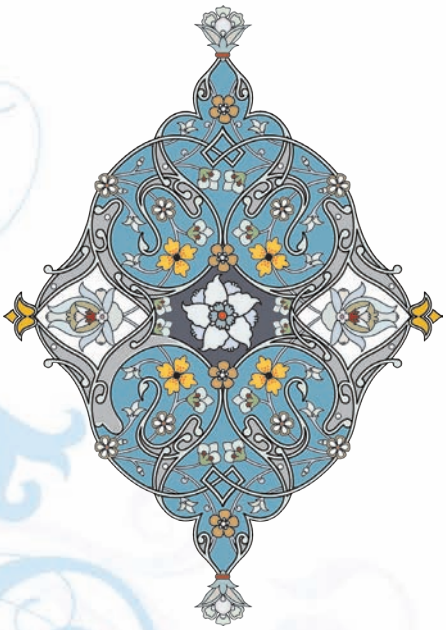

# أجوبة مسابقة العدد (٤٣)
# وأسماء الفائزين

**السـؤال الأول:** ب. العلاء بن زياد

**السـؤال الثـاني:** أ. ١٠ أيام

**السـؤال الثالـث:** ب. كنكر

**السـؤال الرابـع:** ج. ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾

**السؤال الخامس:** ب. أربعة

**السؤال السادس:** أ. المذار

**السـؤال السـابع:** أ. الإمام الحسن السبط عليه السلام

**السـؤال الثامـن:** أ. الشبلنجي

**السـؤال التاسـع:** ب. الاستبصار

الفائز بالجائزة الأولى: قاسم حمادي حسين/ بابل ـ القاسم ـ حي الغدير.

الفائز بالجائزة الثانية: ضاري خميس عبد الحسن/ بلد ـ حي الحسين.

الفائز بالجائزة الثالثة: سجاد بشار محسن/ محافظة واسط ـ الكوت.

**على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم**
**ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد**

# مسابقة العدد (٤٥)

١ غـادر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المدينة المنـورة قاصداً البـصرة لمواجهة حركة التمرد التـي قام بها طلحة والزبير، فمتى خرج عليه السلام من المدينة؟

أ ـ أول ربيع الأول ٣٦ هـ ب ـ أول ربيع الثاني ٣٦ هـ

ج ـ آخر ربيع الثاني ٣٦ هـ

٢ السـيد محمد مهـدي الكاظمي عالم جليـل مؤلف، ولد في الكاظمية وبها نشأ وترعرع ودرس واشتهر، ألّف كتباً كثيـرة منها كتاب يذكر فيه أسـماء مجتهدي الشـيعة، فما اسم الكتاب؟

أ ـ الدرجات الرفيعة ب ـ الحصون المنيعة

ج ـ أحسن الوديعة

٣ لمـا خـرج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفـة قاصداً صفيـن اسـتخلف رجـلاً من بعـده ينظر في أمـور الدولة والرعية، فمن هو ذلك الرجل؟

أ ـ عقبة بن عامر البدري

ب ـ قثم بن العباس

ج ـ أبو موسى الأشعري

٤ **وأجـمـل منك لـم تـرَ قـط عيني**
**وأفـضـل مـنـك لـم تـلـد النساء**
**ولـــدت مـبـــرءاً مـن كـل عيب**
**كـأنـك قـد خـلـقـت كـمـا تشاء**

أبيات في مدح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، من قائلها؟

أ ـ كعب بن زهير ب ـ أحمد شوقي

ج ـ حسان بن ثابت

كوبون المسابقة

ينابيع ٤٥

| جواب السؤال الأول | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

| جواب السؤال الثاني | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

| جواب السؤال الثالث | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

| جواب السؤال الرابع | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| | | | |

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

## ٥

إذا ظهر الإمام المهدي عليه السلام بمكة يوافيه أصحابه وهم؟

أ ـ مائتان وبضع

ب ـ ثلاثمائة وثلاثة عشر

ج ـ ثلاثمائة وعشرون

## ٦

(**ثمرات الأعواد**) من أهم الكتب التي يحتاجها الخطيب في إعداد مجالسه، فمن هو مؤلفه؟

أ ـ السيد علي الهاشمي

ب ـ السيد محسن الأمين

ج ـ الشيخ شريف الجواهري

## ٧

أوصى أمير المؤمنين عليه السلام ولده الحسن السبط بعدد من الخصال فإن حفظها الإنسان نال بها النجاة، وإن ضيعها فاته الداران (الدنيا والآخرة) فكم عددها؟

أ ـ أربع خصال ب ـ خمس خصال

ج ـ ست خصال

## ٨

بيت الأحزان بناه أمير المؤمنين عليه السلام للزهراء عليها السلام لكي تبكي على فقد أبيها صلى الله عليه وآله بعد أن منعت من البكاء، ففي أي مكان بناه؟

أ ـ عند قبر حمزة ب ـ عند بقيع الغرقد

ج ـ عند مسجد قبا

## ٩

لما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام ترك عدداً من نسائه، منهن حرائر ومنهن أمهات ولد، فكم الحرائر منهن؟

أ ـ أربع ب ـ خمس

ج ـ ست

---

## كوبون المسابقة

**جوائز المسابقة**

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

**شروط المسابقة**

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ج/ ١٤٣٣هـ.

| | أ | ب | ج |
|---|---|---|---|
| جواب السؤال السابع | | | |
| جواب السؤال السادس | | | |
| جواب السؤال التاسع | | | |
| جواب السؤال الخامس | | | |
| جواب السؤال الثامن | | | |